

## الأمن الفكري وأأسسه في السنة النبوية

بحث مقدم للمؤتمر الوطني الأول للأمن الفكري

«المفاهيم والتحديات»

في الفترة من ٢٢-٢٥ جماد الأول ١٤٣٠هـ

كرسي الأمير نايف بن عبد العزيز لدراسات

الأمن الفكري بجامعة الملك سعود

إعداد

د. جمال بادي و د. إبراهيم شوقار

الجامعة الإسلامية العالمية - ماليزيا

بسم الله الرحمن الرحيم  
الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده محمد وعلى آله وصحبه

### كلمة شكر:

يتقدم الباحثان بالشكر الجزيل للقائمين على كرسي الأمير نايف بن عبدالعزيز لدراسات الأمن الفكري بجامعة الملك سعود بالرياض وفي مقدمتهم الأستاذ الدكتور خالد الدريس المشرف العام على الكرسي على إتاحة هذه الفرصة لهما للإسهام بهذه الورقة في مؤتمريهم الرائد سائلين الله تعالى أن يكمل جهودهم بالنجاح.

## ملخص البحث

إن الأنبياء والرسل عليهم السلام إنما يتعاقبون في المجتمع البشري لأداء مهمة دينية ومعرفية، ألا وهي إخراج الناس من الظلمات إلى النور. ويرجع السبب الجوهرى في تعاقبهم لأداء هذه المهمة إلى إلتباس الحق بالباطل وانحراف الناس عن صراط الله المستقيم كلما ابتعد الناس عن أزمنة النبوة. فلو أمن الناس الانحراف الديني والفكري لكفى المجتمع البشري نبى واحد أو رسول واحد عبر التاريخ، ولكن حكمة الله اقتضت غير ذلك. لذا كان على العلماء بعد ختم النبوة بمحمد صلى الله عليه وسلم بيان الحق للناس والذب عنه، ودحض الباطل وكشف زيفه. ومن هذا المنطلق يكون البحث في سبل تحقيق الأمن الفكري محققاً لتلك الغاية النبيلة التي سعى إليها الأنبياء عليهم السلام. ففي ظل العولمة الثقافية ومعطياتها الدولية، حيث الترابط الوثيق بين الأمم والشعوب، أصبح "الأمن الفكري" همماً مشتركاً بين جميع أفراد المجتمع البشري. ويبحث الأمن الفكري، ضمن موضوعات أخرى، في العوامل الجوهرية لحماية الأفكار والتصورات الأساسية للمجتمع، المتعلقة بهويتها الذاتية وصيانتها من الخلل والانحراف.

مع اتباع المنهج التحليلي نظر البحث في هذا المسألة من جوانب متعددة ومداخل مختلفة يمكن تلخيصها في مقدمة ومحورين أساسيين، وخلاصة. يتعلق المحور الأول بالمفهوم وما يترتب على تحديد المفهوم من مسائل ونتائج. فإذا كان للأمن الفكري دور كبير في تحقيق الأمن الاجتماعي والوطني، كما يرى كثير من الباحثين، فما المقصود بـ "الأمن الفكري" في إطار منظومة القيم الإسلامية الحنيفة؟ وما مقوماته وموضوعاته؟ تمت الإجابة عن هذا التساؤل بعرض الإطار المفهومي والإطار الموضوعي للأمن الفكري. أما المحور الثاني فهو دراسة تحليلية ترتبط بأسس واستراتيجيات تحقيق الأمن الفكري من خلال السنة النبوية الشريفة مع عرض بعض النماذج التطبيقية كما تجلّت في عهد الرسالة. ثم جاءت الخلاصة لتعرض أهم الحقائق التي توصلت إليها الدراسة.

## مقدمة

للبحث في موضوع "الأمن" مبررات عدة في هذا العصر، وخاصة إذا تعلق الأمر بـ "الأمن الفكري" الذي يتناول ضمن موضوعاته مسائل تتعلق بالجانب الفكري والعقدي للإنسان. تعددت البحوث والدراسات في مجال الأمن، سواء كان في صورته المجردة أم مرتبطاً بموضوعات أخرى وثيقة الصلة، مثل التطرف والارهاب واستخدام العنف لتحقيق الأهداف. هذا الاتجاه في البحوث كان مؤشراً واضحاً على وجود أزمة أمنية، أي سيطرة نقائص الأمن مثل الخوف والقلق والاضطراب على مفاصل الحياة المعاصرة<sup>1</sup>. ففي ظل العولمة ومعطياتها الدولية، حيث الترابط الوثيق بين الأمم والشعوب، أصبح "الأمن" هماً مشتركاً بين جميع مكونات المجتمع البشري، فصار أمن الفرد متعلقاً بأمن المجتمع والدولة، وأمن الدولة صار مرتبطاً بالأمن الدولي والعالمي، كل يتفاعل مع الآخر ويؤثر فيه ويتأثر به سلباً أو إيجاباً، وهذا يفيد أن تحقيق الأمن شأن عام وفي حاجة إلى تعاون الجميع.

يرتبط "الأمن الفكري" بموضوع الأمن بصورة عامة ويبحث، ضمن قضايا أخرى، في العوامل الجوهرية لحماية الأفكار والتصورات الأساسية للمجتمع، المتعلقة بهويتها الذاتية وصيانتها من الخلل والانحراف. النظر في هذا المسألة له جوانب متعددة ومداخل مختلفة من حيث المنهج والوسائل وتحديد الأسباب والغايات. فمن الباحثين من رأي أن العنصر الداخلي هو الغالب في إحداث الخلل في الأمن الفكري، أي العوامل الذاتية للانحراف الفكري الناشئة عن التركيبة الداخلية لبنية المجتمع المتمثلة في العوامل الاقتصادية والسياسية والتنمية الاجتماعية والثقافية والتربوية ومستوى التعليم ومناهج التربية وغيرها. ومن الباحثين من رأي أن أسباب الانحراف الفكري في المجتمع العربي والإسلامي، المتمظهر في الغلو والانحراف عن الوسطية وضيق الأفق والميل إلى العنف، له بُعد خارجي يتمثل أساساً في الغزو الفكري من الثقافات الأجنبية، وهو ما يُعرف بـ "العولمة الثقافية" أي الحركة الحرة للأفكار والأيدولوجيات والمعتقدات عبر وسائل الإعلام ووسائل الاتصال دون عائق أو رقيب.

لاشك أن كل مجهود بُذل في هذا المجال قد أصاب الحق في جانب، ولكن الأوفق في هذه المسألة - من وجهة نظرنا - هو النظر بمنهج متكامل، أي الجمع بين الاتجاهات المختلفة، ولا سيما الجمع بين هاتين المقاربتين (البُعد الداخلي والخارجي) في منهج متكامل وشامل من حيث النظر إلى جذور الإشكالية ومن

<sup>1</sup>. هناك تطور نوعي في طبيعة مهددات الأمن الإنساني في هذا العصر، ولكن أخطرها على الأمة هي تلك التي تأتي نتيجة لخلل فكري لأنها تستهدف الأمة في كيانها ووجودها المميز. فالمجتمعات المعاصرة تواجه صوراً شتى من مهددات الأمن كلها في حاجة إلى إعمال الفكر، مثل الإرهاب الدولي والجريمة المنظمة، وانتشار الأمراض والأوبئة والتلوث البيئي، وتجارة المخدرات عبر الدول، وانتشار الفقر.. إلخ.

حيث وسائل معالجتها. والحلول الناجعة في كل الأحوال هي تلك التي تستند بصورة أساسية إلى أصول الفكر الإسلامي، أي التصور القائم على كليات الدين، المستخلص من المنهج النبوي الشريف في بناء المجتمع. فالسنة النبوية تضع الأسس كما تبين التفصيلات في عملية تكوين الإنسان الصالح وبناء المجتمع المتناسك فكرياً وثقافياً وعقدياً.

### أهمية الموضوع ومحاور البحث

في ظل المتغيرات الدولية المعاصرة والعولمة الثقافية والانتقال الحر للأفكار والإيديولوجيات والمعتقدات والثقافات فإن موضوع الأمن الفكري يكتسب أهمية خاصة. وتبرز هذه الأهمية بصورة عامة من حيث أن الأمن الفكري هو أساس الأمن النفسي والأمن الاجتماعي للأمة، وهو الجدار الذي تتحطم عنده سهام الاختراق الثقافي والاستلاب الحضاري فيمنع بذلك الاضطراب في الفكر والخلل في العمل<sup>2</sup>. فالأمن الفكري بهذا المنظور هو البعد الاستراتيجي للأمن الوطني، وهو الحصن الذي يلوذ به أبناء الأمة في وجه حملات الغزو الفكري، كما هو تحصين لهم ضد كل أنواع الميل عن الوسطية والإعتدال، بالافراط أو التفريط، إلى التطرف في الفكر والعمل. فكثير من التوترات والاضطرابات في المجتمع الواحد سببها الأساس هو اضطراب في الفكر وعدم تناسق بين منظومة القيم الفكرية التي يحملها الفرد وطرائق العمل السائدة في المجتمع.

لذلك يتساءل المرء هل يمكن أن يتحقق الأمن الاجتماعي والوطني مع غياب الأمن الفكري في المجتمع؟ وبعبارة أخرى هل يمكن للوطن أن ينعم بالأمن والسلام مع اضطراب الفكر وعدم التناسق بين الأفكار التي يحملها الأفراد وبين منظومة القيم السائدة في المجتمع؟ تبرز جدية هذه التساؤلات من حيث أن الظروف التي أوجدتها "العولمة" في هذا العصر من سرعة الاتصال والانتقال والتواصل بين الثقافات قد تشكل أحد مصادر الخوف والقلق على المستقبل الثقافي والقيمي للأمة. فالعولمة قد هيأت مناخاً جديداً للعلاقة بين الأمم والتواصل بين الثقافات، فمع إزدياد التقارب بين الناس يتحقق "التعارف" كما أشار إليه الذكر الحكيم، ولكن أيضاً يتعاظم التداخل والتفاعل وتزداد العلاقة بين الشعوب تعقيداً بسبب التباين القيمي والثقافي بين الأمم. فلكل أمة "كتابها"، أي طريقته في الحياة وأسلوبها في التعبير عن ذاتها من خلال منظومة القيم الفكرية والثقافية التي تؤمن بها، ولذلك تحافظ على كيانها المميز عبر الدفاع عن تلك القيم. لهذا أصبح موضوع الأمن الفكري من الموضوعات المهمة التي توليها كثير من الثقافات والأديان

<sup>2</sup> إن الاستلاب الحضاري لا يولد التبعية فحسب بل يبذر جذور الفتنة والصراع بين أبناء الأمة الواحدة ويقسم المجتمع إلى تيارات متناحرة مما يفضي إلى التقاتل والتشردم والتمزق وذهاب الريح.

عناية خاصة في عالم زالت فيه الحدود وأصبح قرية صغيرة تتواصل فيه الأمم والشعوب والثقافات بكل سهولة ويسر. فمن جهة مثلت التقنية الحديثة فرصة للبعض لنشر قيمه ومبادئه في محاولة لإيجاد قبول لها من الآخرين. ومثلّ للبعض الآخر مصدر قلق وتحدٍ لإمكانية الاختراق الثقافي وغسيل الأدمغة، بل حتى الاستلاب الحضاري.

فأين موقع الأمة الإسلامية والعربية في هذا التجاذب الكوني بين الشعوب والتدافع الحضاري والثقافي بين الأمم؟

كيف يمكن للأمة أن تحصّن بنيتها خارجياً ضد الاختراق الثقافي وداخلياً ضد الجنوح عن صراط الاعتدال في الفكر والعمل، ومن ثم تسهم بصورة إيجابية في بناء قيم العدل والتسامح والكرامة الإنسانية؟ ما دور السنة النبوية الشريفة، التي أرست قواعد الإنسانية في رحم التاريخ، في مواجهة هذه التحديات من خلال إعادة بناء الأمن الفكري للأمة على مستوييه العقدي والمنهجي؟

هذه هي أهم التساؤلات التي يحاول البحث الإجابة عنها، ضمن محاور تؤصل ثم تفصل في موضوع الأمن الفكري. ومع اتخاذ المنهج التحليلي أسلوباً للنظر، يهدف البحث إلى معالجة هذا الموضوع بالنظر إليه من محورين أساسيين، يتعلق الأول منهما بالمفهوم وما يترتب على تحديد المفهوم من مسائل ونتائج. فإذا كان للأمن الفكري دور كبير في تحقيق الأمن الاجتماعي والوطني، كما يرى كثير من الباحثين، فما المقصود بـ"الأمن الفكري" في إطار منظومة القيم الإسلامية الحنيفة؟ وما مقوماته وموضوعاته ومجالاته؟ أما المحور الثاني فهو دراسة تحليلية يبيّن دور تطبيق المنهج النبوي في حماية الأمة من الغزو الفكري ومن الجنوح إلى التطرف معاً في سبيل تحقيق السلام الاجتماعي والنفسي للمجتمع والوطن.

## ١. الإطار المفاهيمي للأمن الفكري

عندما يتأمل المرء في موضوع "الأمن" فإن مجموعة من المفاهيم والمعاني تتداعى إلى الذهن، حيث يتعلق الأمن بالشعور الذاتي للإنسان، وهو أمر يصعب تحديده بدقة في عُرف البحث العلمي (subjective). فـ"الأمن" إحساس بالاطمئنان وحالة من التحرر من الخوف والقلق بناء على معطيات معينة. فالأصل اللغوي لكلمة (أ.م.ن) يدل على الاستقرار والسكينة والراحة، والبُعد عن الخوف والقلق والاضطراب. قال صاحب "المفردات" أصل "الأمن" طمأنينة النفس وزوال الخوف<sup>٣</sup>. ولكن الخوف من ماذا وعلى

<sup>٣</sup> الأصفهاني، الراغب، المفردات في غريب القرآن، دار المعرفة (بيروت - ٢٠٠١)، ص ٣٦، مادة (أمن).

أي شيء يخاف الإنسان؟ وهل يمكن أن يكون الخوف سبيلاً لتحقيق الأمن؟ هنا قد ندرك لماذا ارتبط الأمن بالإيمان والتوحيد في الذكر الحكيم، في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ (البقرة). فالأمن باعتباره الوصفي هو شعور نفسي واحد ولكن تتعدد صورته وتباين أشكاله وفق مصادر القلق والخوف لدى الإنسان.

## ١/١. الأمن في مجال الفكر

أما إذا تعلق "الأمن" بـ "الفكر"، فإن ذلك هو ما تشير إليه الآية القرآنية السابقة، أي قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ (البقرة). فسّر العلماء "الظلم" هنا بالشرك وهو أمر متعلق بالفكر، إذ أن الشرك نوع من اعتقاد فاسد قائم على معطيات فكرية زائفة. فإن كان الإيمان "الملبس" هو الشرك فإن الإيمان الخالص هو التوحيد المنسجم مع العقل والفطرة السوية. فالأمن من هذا المنظور هو نتيجة لمعطيات فكرية وليس معطيات حسية كما في حالات أخرى، مثل ما جاء في قوله تعالى: ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾ (البقرة). فهذه الآية تشير إلى الأمان ضد أمور حسية مثل الحرب والقتل، بجعل مكة حراماً آمناً، وضد النقص في الثمرات بفتح أبواب التجارة إليها والانتعاش الإقتصادي فيها. وقد جمع بين المفهومين، أي الفكرية والحسية، قوله تعالى: ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ (إبراهيم). فعبادة الأصنام هو الشرك بعينه، وهو تفسيرٌ لمعنى "الظلم" في الآية السابقة، وهو مناقض لقواعد العقل السليم التي تُدخِل الطمأنينة في النفس.

من هنا نرى أن "الأمن" من المنظور التحليلي يتحقق بناءً على عاملين: حسي وفكري أو مادي ومعنوي، وأكمل الأمن ما اجتمع فيه العاملان، وهو ما يشير إليه قوله تعالى: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ﴾ (٣) الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ (٤) ﴿قريش﴾. فالأمن القائم على عوامل فكرية هو الشعور بالطمأنينة بناءً على توافق الأفكار وانسجامها مع الواقع أو مع قواعد العقل القائمة على الفطرة السليمة والأصول المقررة بالدين، وهو أساس الأمن الاجتماعي. أما النوع الآخر فيتحقق بناءً على شعور حسي وذلك لتوفر ضرورات الحياة وعدم وجود خطر مادي يهدد كيان الإنسان. فالأمن الحسي هو أن تحصل طمأنينة النفس بما يقع به الأمن عادةً من وسائل وغايات مادية، بينما الأمن الفكري هو طمأنينة القلب على انتفاء دواعي القلق والاضطراب بناءً على معطيات فكرية وليست مادية.

فالأمن الفكري هو الذي يحقق للإنسان الأمن بمفهومه الواسع لأنه يفضي إلى تحقيق الأمن الحسي والاجتماعي عادة ويشمل الحاضر والمستقبل، أي العبور بالدنيا إلى الآخرة، وهو المعنى الدقيق الذي تشير إليه الآية الكريمة: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ (٨٢) (البقرة). فالاضطراب الفكري يجلب العناء لصاحبه في الدارين، والأمن الحقيقي هو القائم على صراط الاعتدال في الفكر والعمل، وهو تجاوز للظلم بكل معانيه ونبذ للعنف والدمار بكل أنواعه من أجل تحقيق المقاصد الإنسانية السامية في الدنيا ونيل الفوز العظيم في الآخرة: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أَجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ (١٨٥) (آل عمران). زحزحة عن النار لا يمكن أن تكون بالقتل والدمار. من هذا الجانب يرتبط الأمن بصيغتيه، الفكرية والحسية، بالمقاصد العليا للشرع الحكيم لأن الإخلال بالأمن بالمعنى الحسي أو الفكري لا شك يُدخل الخلل في الضروريات، فضلاً عن المكملات، التي نزلت الشرائع كلها من السماء لأجل حفظها وصيانتها. وإذا كان تحقيق الأمن بنوعيه من أهم مقاصد الشرع الحكيم يفهم من ذلك، بمفهوم المخالفة، أن أي إخلال بالأمن ليس له سند في الشرع.

## ٢/١. مكونات الأمن

أما مكونات الأمن بمفهومه العام فتقوم على أساسين؛ هما: الإعتاق من ذل الحاجة والطمأنينة من حاجز الخوف، أي طمأنينة النفس بانتفاء دواعي القلق والاضطراب الذي يهدد حياة الإنسان أو المجتمع في بنيته المادية أو الفكرية أو الاقتصادية أو الثقافية... الخ: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ (٣) الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ (٤)﴾ (قريش). لقد إمتن الله تعالى على قريش، بل على المجتمع المسلم في عهد الرسالة، بالتأمين من الجوع والخوف، لأن كلاً مفهومَي الأمن قد تحقق بأسمى معانيه بمجيء الإسلام. فقد تحقق الأمن الحسي (تأمين إقتصادي وأمني من الحروب المدمرة) بجعل البلد الحرام مكاناً آمناً تزدهر فيه الحركة الاقتصادية والتجارية ويتبادل فيه الناس المنافع والخيرات: ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ

<sup>4</sup> إن تقييد بعض المدن أو بقعة جغرافية معينة وجعلها منزوعة السلاح لأجل السلام العالمي والإزدهار التجاري فكرة ظهرت أهميتها للعالم الغربي بعد المآسي التي شهدتها البشرية من خلال حربين عالميتين مدمرتين، حيث تم تقييد بعض الدول والمدن بعد الحرب العالمية الثانية مثل



أَهْلُهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ (١٢٦) ﴿البقرة﴾، ﴿أَوَلَمْ نُمْكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَىٰ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا (٥٧)﴾ (القصص). أما الأمن الفكري فقد تحقق أيضاً بأوسع معانية بإزالة كل التناقضات الداخلية للنفس البشرية على مستوى الفرد، حيث تم تقديم التوحيد الخالص بديلاً للشرك المتناقض الذي كان سائداً بين القوم في الجاهلية. ومن خلال الوحدة الفكرية التي تجلّت في وحدة الخالق سبحانه على مستوى التصور والنظر فقد وقع الانسجام بين الفكر والعمل وحصل الترابط الداخلي للمجتمع في المنهج والغاية. فالأمن الفكري من هذا المنظور هو نتاج طبيعي لانسجام الفكر، حيث لا أمن مع التناقض الداخلي للأفكار، والأمن الاجتماعي نتاج طبيعي للتناسق بين الأفكار على مستوى الأفراد. وهذا هو الذي يفسر كل صور الغلو والتطرف في التاريخ البشري، سواء كان في الدين أو في أدب الخلاف أو في الاستخدام المفرط للقوة ضد المخالف. فلو توحدت أنماط التفكير الداخلي لتوحدت صور أشكالها الخارجية في العمل فيحصل التآلف والانسجام.

فمع الاضطراب الفكري يرى المرء الأشياء بصورة مقلوبة، فيرى "الباطل" ويظنه حقاً فيحصل له طمأنينة زائفة تزول مع انبلاج أولى بشائر الحق<sup>٥</sup>. فليس من الأمن في شيء أن تركز النفس إلى ما لا يحصل به الأمن أصلاً، كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا (٥١)﴾ (النساء). فقد ذم الله هؤلاء القوم لأنهم قد حصل لهم الأمن بما لا يقع به الأمن، إذ ليس من شأن القلب أن يطمئن إلى الباطل ما لم يكن مطبوعاً عليه، كما أن الفكر لا يركن إلى الباطل ما لم يكن منحرفاً. فأساس الطمأنينة والشعور بالأمن هو التناسق الداخلي للأفكار والانسجام التام بين القيم والأعمال، سواء كان على مستوى الإحساس الداخلي للفرد أو على مستوى مكونات المجتمع الواحد. فكما أن التحرر من مذلة الحاجة لا يتأتى إلا بالتفكير المبدع والعمل الجاد، فإن الأمن من الخوف لا يتحقق إلا بالتناسق الفكري والترابط العضوي بين مكونات المجتمع. هكذا يمكن أن يكون الأمن الفكري من مقومات الخطط الأمنية في ظل المتغيرات المتسارعة التي تعيشها البشرية في هذا العصر.

جنيث لغرض الأمن والسلام، ولكن يبدو أنها فكرة أصيلة في التراث الإسلامي والعربي. فمثل هذه الأفكار والتراث هي التي ينبغي نشرها وإشاعتها بين الأمم الأخرى.

<sup>5</sup> تيارات العنف السياسي والديني خير مثال على ذلك.

كانت السنة النبوية فهماً وتفصيلاً ثم تنزيلاً لهذه المعاني القرآنية على الواقع، ونحن اليوم في حاجة ماسة إلى الإقتباس منها من أجل بناء منهج متكامل للتعامل مع قضايا الفكر الإسلامي المعاصر، لأنه لا يتحقق تأمين الفكر إلا برده إلى أصوله المعرفية.

## ٢. الإطار الموضوعي للأمن الفكري

تتضح طبيعة أي موضوع في مجال البحث العلمي بوضوح الموضوعات التي يتناولها أو بتحديد الإشكالية التي يعالجها أو بتقرير المسائل التي يُنظر فيها بصورة عامة. فالتوغل في البحث من غير وضوح الإشكالية أو من غير تحديد مسأله إنما هو أشبه بمشوار بلا هدف أو سير بلا غاية. فـ"الأمن" و"الفكر" مبحثان مختلفان من حيث طرائق البحث ومنهج النظر، ولكنهما متحdan من حيث الموضوع والغاية، إذ يتعلق كل منهما بالظاهرة الإنسانية ويرميان إلى تحقيق أحد متطلباته الجوهرية. فيبد أن لكل من المصطلحين موضوعات ومباحث معروفة في تاريخ العلوم الإنسانية، إلا أن مكّون "الأمن الفكري" يعتبر من الموضوعات الحديثة نسبياً، إذ لم تسبق دراسات وبحوث عميقة معروفة تعالج هذا الموضوع بصورته المطروحة في هذا العصر<sup>٦</sup>. ولفهم مضامين الأمن الفكري باعتباره حلاً لظاهرة إنسانية ما كالتطرف، لابد من تحليل تلك الظاهرة. والآن يتساءل المرء، فما هو الموضوع الرئيسي للأمن الفكري وما هي طبيعة مسأله والإشكالية التي يسعى الناظر فيه إلى حلّها ومعالجتها؟ هل هو الغلو والتطرف والإرهاب أم الاستخدام المفرط للقوة ضد الخصم؟ وما هي مقومات الأمن الفكري وما علاقته بالدين وبالنظم السياسية كالديمقراطية وحرية الرأي والتعبير؟ وما أسباب الخلل في الأمن الفكري في الأمة وما هي متطلبات تحقيقه؟ هل هو النظام والضبط القانوني أم بناء الشخصية بتغيير الأفكار ومناهج التربية؟ ولماذا قل الأمن في المجتمع البشري بصورة عامة، ما أسبابه المباشرة وغير المباشرة؟

كل هذه المسائل مرتبطة ببعضها البعض من حيث السببية والأثر ومن حيث التأثير والتأثر، ولذلك نرى أن موضوع "الأمن الفكري" لا يمكن فهمه بصورة صحيحة بمعزل عن فهم العديد من القضايا، فهو لا يمكن فصله عن القضايا الدينية والفكرية والثقافية في تاريخ الأمة، كما لا يمكن فصله عن القضايا

<sup>٦</sup> إن عدم توفر دراسات متكاملة في هذا المجال قد يكون عنصراً إيجابياً في الموضوع، حيث يُشكّل ذلك مصدر الجدة والحيوية، وهو أحد العوامل الدافعة للبحث فيه والنظر في موضوعاته والتأمل في مسأله، ولكن من جانب آخر قد يكون هذا العنصر ذاته، أي غياب دراسات سابقة، بمثابة غياب مرشد وهو أحد العوامل الرئيسية للتعثر، بل حتى الانتكاسة في تحصيل نتائج علمية وعملية، لعدم وضوح الرؤية والتصور المتكامل الذي يوجه البحوث ويرسم خريطة سيرها نحو العمق والجدة والأصالة.

المعاصرة مثل التدافع الحضاري بين الأمم وقضايا الاستبداد السياسي وقضايا "الحرب والسلام" وآلياتها التي تحرك عجلة هذا العالم المتغير وتتحكم في حركته واتجاه سيره وتحدد مآلاته وتحصد نتائجه. ومن جانب آخر، نرى أنه لا يتم تحقيق "الأمن الفكري" ولا معالجته بطريقة صحيحة إلا بتأصيله والعودة به إلى الأصول التي قامت عليها حضارة الأمة وشكلت تصورهما للكون ورؤيتها الكلية للحياة والإنسان. فلا يمكن التصدي لقضية فكرية بالحلول المستوردة، لأن لكل أمة أو دائرة حضارية نظرتها المعرفية التي تحدد خصائصها الجوهرية، وتمنح هويتها الثقافية والاجتماعية المتميزة، وتكون مرآة تعكس أوجه نشاطها الفكري والثقافي، فينعكس من خلالها الوعي الجمعي لتلك الحضارة على مستويات ثلاثة: تصور عقدي جامع، مواقف أخلاقية متماثلة، وهوية اجتماعية مشتركة<sup>7</sup>. فالانحراف الفكري مظهرٌ للخروج عن مقتضيات التصور الكلي ومتطلبات الوعي الجمعي للأمة المتمثلة في الوسطية والعالمية والشمول. ولذلك ينبغي تحليل العناصر الأولية للأمن الفكري والعوامل التي تكون أو تشكل مسائله الجوهرية.

## ١/٢ - موضوعات الأمن الفكري ومسائله

إن القراءة الصحيحة لمفهوم "الأمن الفكري" هي أن تكون في إطار الخلفية التاريخية لمشكلات الأمة من ناحية، وفي إطار صور التدافع البشري، الحضاري والفكري والسياسي، من ناحية أخرى. ومن هذا الجانب يتعلق الأمن الفكري من حيث موضوعاته ومسائله بقضايا الدين والفكر والإقتصاد والسياسة على المستويين الدولي والمحلي، بحيث يؤثر كل منها على الآخر سلباً أو إيجاباً. لأن الأمن الفكري من منظور فكري يتعلق بنظرة الإنسان إلى الكون والحياة والإنسان، وذلك شأن الدين، والأمن الفكري من منظور معرفي هو أداة لتحليل الظاهرة الطبيعية والاجتماعية بغرض السيطرة والتوجيه، والأمن الفكري من منظور اجتماعي هو وسيلة للعمل على تغيير الواقع الاجتماعي والإقتصادي وعدم الإكتفاء بتحليله وتفسيره. فصلة الأمن الفكري وثيقة بكل هذه المسائل. فهو من حيث الأسباب الظاهرة للإخلال به يرتبط بالتطرف والإرهاب، ولكن من حيث جذوره التاريخية قد يرتبط بالإنحطاط الفكري للأمة وبالتدافع السياسي والاجتماعي. وهو يتعلق من حيث مظاهر تجلياته المكانية بالوضع الداخلي للمجتمع الإسلامي من سوء أحوال إقتصادية وتنموية وصراع سياسي حول السلطة، ولكن من حيث عوامله المحركة يرتبط بالنظام الدولي والعلاقات الدولية. أما من حيث الحلول المنشودة فإن الأمن الفكري يرتبط، في نظرنا، بالدين والقيم والإصلاح الفكري والسياسي أكثر من ارتباطه بأية وسيلة أخرى. ومن هنا ينبغي أن

<sup>7</sup> فتاح، عرفان عبد الحميد، الإطار الفكري العام لنظرية المعرفة في القرآن الكريم (مجلة إسلامية المعرفة)، يصدرها المعهد العالمي للفكر الإسلامي، العدد ١٥، شتاء ١٩٩٩. ص ٧٣. (بشيء من التصرف).

تتمركز دراسات الباحثين في هذه المسألة حول ثلاثة اتجاهات رئيسية: الأمن الفكري في إطاره الفكري والديني، الأمن الفكري في بعده الاجتماعي والسياسي، والأمن الفكري في بعده الثقافي والحضاري.

## ٢/٢ الأمن الفكري في إطاره الفكري والديني

إن علاقة الدين بالأمن الفكري واضحة من حيث أن الدين هو أساس الأفكار وأن الانحراف الفكري والديني خطر على الأمن الفكري. وبمفهوم المخالفة يمكن القول أن تحقيق الأمن الفكري في حاجة ماسة إلى تناسق الأفكار وتصحيح المفاهيم الدينية بناء على أصولها الكلية<sup>٨</sup>. يتمتع الإنسان بعناصر أربعة هي: نور المعرفة و طاقة الفعل وقوة العقل والإرادة. وكل عنصر من هذه العناصر له بُعدان بحيث يصلح للاستخدام المزدوج للخير أم للشر. ولعل "من أهم خصائص العقل الإنساني قدرته على التفكير وفهم الظاهرة الطبيعية والاجتماعية، ومن ثم توظيف هذا الفهم لحل مشكلاته وتحديد أولوياته، وتنظيم شؤونه الخاصة والعامة، وتحقيق مصالحه الفردية والجماعية. ولذلك كان متوقعاً أن يؤدي عجز الفرد أو المجتمع عن حل مشكلاته وتحقيق مصالحه إلى إثارة تساؤلات عن قدراته العقلية وأدائه الفكري والعلمي. صحيح أن أن قصور الفعل عن تحقيق المصالح والأهداف، واضطراب الأداء وتناقضه لا يعود فقط إلى نقص القدرات الذهنية والفكرية، بل قد يرتبط بمعوقات اجتماعية وسياسية، وخلل نفسي أو أخلاقي، لكن عجز العقل عن تجاوز المعوقات، وفشله في تقديم الحلول اللازمة لإصلاح الخلل يصبح مؤشراً واضحاً على اضطراب الفكر"<sup>٩</sup>.

## ٢/٢ - ١. البنية النحبة للانحراف الفكري

إن المشكلات التي تعاني منها بعض المجتمعات الإسلامية مثل الغلو والتطرف والإرهاب وغيرها إنما هي ظواهر لأزمات فكرية داخلية، لأن الأعمال هي إنعكاس لطبيعة الأفكار. فأساس تطور الأمم

<sup>٨</sup> تقوم فكرة الدين على الاعتقاد، ولكن للإعتقاد درجتان: إعتقاد جازم وآخر غير جازم. فالنوع الأول يقوم على الجزم بصدق القضية بناء على معطيات موضوعية وهو أساس الدين. أما النوع الثاني فهو فكرة تسيطر على الذهن وتدفع الإنسان إلى اتباع سلوك معين ولكن دون قدرته على تفسيرها أو تفسير سبب الاعتقاد بها، ومعنى آخر هو اقتناع بصدق القضية بناء على أسباب مقبولة لدى المعتقد ولو لم تكن مقنعة أو مقبولة لدى الغير. وهذا هو أساس الفكر المنحرف لدى الشباب في أكثر الأحوال، حيث يبدأ الاعتقاد بفكرة طاغية تسيطر على عقل المعتقد بما بحيث يقتنع بصدقها ويدافع عنها وإن كان مخالفاً للواقع أو للأصول الكلية للدين.

<sup>٩</sup> صافي، لؤي، إعمال العقل من النظرة التجزئية إلى الرؤية الكلية، دار الفكر (دمشق - ١٩٩٨) ط١، ص ١٥.

ونخصتها ليس في طبيعة أفعالها وأعمالها فحسب وإنما في طبيعة الأفكار التي يحملها أفرادها ويسعون جهد إيمانهم إلى تحقيقها وتحويلها إلى أعمال. والقانون الإلهي في ذلك هو - كما قال المودودي - أن كل أمة تستعمل ما أتاها الله من قوى العقل والفكر، وتمضي قدماً في طريق البحث والتحقيق والاكتشاف، تتمتع، إلى جانب رقيها الفكري، بالرقى المادي أيضاً. وكل أمة تتقاعس في السباق في حلبة التفكير والتعمق في العلم تصاب، مع الانحطاط العقلي، بالتقهقر والاضمحلال المادي.<sup>10</sup>

فالإنحراف الفكري والديني هما البنية التحتية للتطرف والارهاب، كما أن الاستخدام المفرط للقوة في مواجهتهما هو انحراف آخر قد يعطي جرعة وقتية ولكن لا يقضي على الظاهرة على المستوى الاستراتيجي بل قد يزيدا مناعة وقوة، لأنه عندما لا يجد الإنسان فرصة للتعبير عن ذاته في واقعه أو في عالمه الاجتماعي يوجد لنفسه عالماً آخر مثالياً يكون نقيضاً للواقع ليكمل فيه كل ما ينقصه في الواقع. ولذلك فإن المجتمع المسلم اليوم في حاجة إلى فهم الذات، أي الحوار مع الذات وتجنب المواجهات السافرة بين أبناء الأمة من أجل فهم الأسباب الجوهرية للفكر المنحرف وأسباب الغلو والتطرف في الدين ثم العمل على إصلاحه من جذوره. ومن هنا فقد كان لفتح باب الحوار مع هؤلاء الشباب المنحرف أثر واضح في رجوع الكثير منهم إلى الحق. وهي تجربة رائدة عاشها عدد من بلاد العالم الإسلامي.

## ٢/٢-٢. وسطية الدين دعم للأمن الفكري

إن الدين ليس أمراً جزئياً أو فكراً مجرداً ولا شعوراً مجرداً أو عملاً مجرداً، بل هو خطاب للكيان الإنساني كله. ولذلك لا بد من النظر إلى مسائل الدين الفرعية القائمة على الاجتهاد، من زوايا متعددة في بيئة قائمة على التسامح واحترام الرأي الآخر. ويجب أن يجد كل مسلم الفرصة للتعبير عن رأيه السائغ ولا يُحصر الحق في وجهة نظر واحدة. قال أبو الوليد الباجي: "الحق واحد، وإن من حكم بغيره فقد حكم بغير الحق، ولكننا لم نُكَلَّف إصابته وإنما كُلِّفنا الاجتهاد في طلبه. فمن لم يجتهد في طلبه فقد أثم، ومن اجتهد فأصابه فقد أجر أجريين: أجر الاجتهاد وأجر الإصابة للحق، ومن اجتهد فأخطأ فقد أجر أجراً واحداً لاجتهاده ولم يأثم لخطئه"<sup>11</sup>.

<sup>10</sup> المودودي، أبو الأعلى، نحن والحضارة الغربية، الدار السعودية للنشر (جدة-١٩٨٧) ص ٣٤٠-٣٤١.

<sup>11</sup> أبو الوليد الباجي، أحكام الفصول في أحكام الأصول: تحقيق عبد المجيد التركي (بيروت- دار الغرب الإسلامي) ١٩٨٦، ط ١، ص ٧٠٨.

إذن غاية الدين وهدفه الأسمى هو أن يوقظ في النفس الإنسانية شعوراً أسمى بما بينه وبين الخالق سبحانه وبينه وبين الكون من علاقات متعددة ليس من بينها القتل والتدمير<sup>١٢</sup>. فإن المشكلة ليست في تعدد الفهم لفقه التدين إذا كان مبنياً على أدلة بينة سائغة، وإنما في الجمود والانحراف والغلو والتطرف في الدين. ولا ترتبط الأفكار المتطرفة بدين معين ولا تنحصر في أفعال بعينها، بل تكون تعبيراً عن الغلو في صور متعددة، دينية وغير دينية، ويمكن أن يحمله أفراد أو جماعات، ويمكن أن يكون سلوكاً جماهيرياً يصدر في شكل أقوال وأفعال، ويمكن أن يصدر من مؤسسات أو من سلطات في شكل سياسات وقوانين. ولذلك فإن فكرة التشريع الإسلامي قائمة على الوسطية والتوازن، فمتى اختل هذا التوازن دخل الخلل في الأمن الفكري. قال الشاطبي في ذلك: "الشريعة جارية في التكليف بمقتضاها على الطريق الوسط الأعدل، الآخذ من الطرفين بقسط لا ميل فيه.... فإن كان التشريع لأجل انحراف المكلف، أو وجود مظنة انحرافه عن الوسط إلى أحد الطرفين، كان التشريع راداً إلى الوسط الأعدل، لكن على وجه يميل فيه إلى الجانب الآخر ليحصل على الاعتدال فيه". ويعتبر الشاطبي هذا المنهج سياسة عامة في التشريع الإسلامي إذ يقول: "فإذا نظرت في كلية شرعية فتأملها تجدتها حاملة على التوسط. فإن رأيت ميلاً إلى جهة طرف من الأطراف، فذلك في مقابلة واقع أو متوقع في الطرف الآخر"<sup>١٣</sup>. يبدو من تصوير الشاطبي أن طلب الوسطية ليس أمراً جامداً في قالب محدد وإنما هو عامل متحرك وفق مقتضى الحال والرغبة في إعادة التوازن لأي انحراف في المجتمع. الوسطية في الإسلام تعني التوازن في كل شئ في حياة المسلم، بحيث لا يطغى جانب على آخر، وكان المنهج النبوي واضحاً في هذا كما سيأتي.

أما فيما يتعلق بالأمن الفكري في صلته بالدين فإن الوسطية تقتضي الاعتدال في الخطاب الديني والتربوي، بحيث لا يميل إلى جانب الشحن العاطفي على حساب الجانب الفكري والعلمي أو العكس، ولا التركيز على التراث على حساب الحداثة، ولا التركيز على الإيجابيات دون الإشارة إلى السلبيات.

<sup>١٢</sup> راجع مزيداً من التفصيل حول الفكر الديني وأثره على المجتمع، العلامة محمد إقبال في كتاب "تجديد الفكر الديني في الإسلام" مطبعة لجنة التأليف والترجمة (القاهرة - ١٩٦٨) ط ٢، ص ٦-١٥.

<sup>١٣</sup> هذا يعني أن طلب الوسطية قد يقتضي تجاوز حد الوسط قليلاً إلى الطرف الآخر طلباً للإعتدال، والمثال الذي ساقه الشاطبي هنا هو ذم الله تعالى الدين كثيراً في القرآن لإيجاد التوازن بين طلب الدنيا الذي يسعى إليه الإنسان فطرته وبين طلب الآخرة التي فيها السعادة الكاملة. الشاطبي، أبو إسحاق، الموافقات في أصول الشريعة، (دار الكتب العلمية - بيروت ٢٠٠٤) ط ١، ص ٣١٥-٣١٨.

يشير العلامة محمد إقبال إلى أن أكبر إشكالية واجهها الإسلام عند ظهوره في القرن السابع الميلادي تمثلت في ما بين الدين والحضارة من صراع متبادل<sup>14</sup>. ويقصد إقبال بهذا القول الصراع بين الكنيسة والعلم في القرون الوسطى، ولكن يبدو أن هذه المواجهة ما زالت قائمة، بل توسعت دائرتها لتضع الدين جملة في مقابل العلمنة الشاملة. ولذلك فمع تصاعد روح التدين بين الشباب في هذا العصر تتصاعد كذلك الحاجة إلى خطاب جديد يوجه ويرشد هذه الروح ويهديها إلى منهج الاعتدال ويسدّ الفجوة بين الحداثة والتقليد. فإن لم يكن المسلمون على وعي بمتطلبات العصر وتحدياته فلا يمكنهم تحقيق الأمن الفكري وبالأحرى عدم تحقيق الأمن بسائر أنواعه: الاجتماعي والثقافي والوطني وغيرها. وهنا يجب تذكّر حكمة العلامة ابن خلدون في هذا الشأن، وهو قوله: "ومن الغلط الخفي في التاريخ الذهول عن تبدل الأحوال في الأمم والأجيال بتبدل الأعصار ومرور الأيام"<sup>15</sup>

### ٣/٢. الأمن الفكري في بعده الاجتماعي والإقتصادي والسياسي

القضايا الاجتماعية والسياسية والإقتصادية لها إرتباط وثيق فيما بينها في هذا العصر. حيث أن الاستقرار السياسي، بناء على السياسات الحكيمة للدولة، تحرك عجلة الحركة الإقتصادية التي تسهم بدورها في التنمية الاجتماعية. ومن هنا يرى بعض الباحثين أن تحقيق الأمن الفكري يرتبط بتحقيق التنمية الإقتصادية والاجتماعية، أي كلما تحققت الرفاهية للشعب قويت لديها مقومات وأسس الأمن الفكري. ومن هذا الجانب يمكن القول أن الأمن الفكري في حاجة إلى توفير المزيد من حرية الرأي والتعبير، لأن الاستقرار السياسي في حاجة إلى ذلك، كما أن انطلاق الفكر المبدع والخلاق في حاجة إلى الحرية. وبالنظر إلى هذا الجانب فإن القضية التي بحاجة لأن تكون لها الأولوية في المجتمع الإسلامي المعاصر هي الدفاع عن قيمة الحرية في مواجهة أية انتهاكات. ولكن ممارسة الحرية لها ضوابط وليست هي الفوضوية والعبث بالقيم وبقواعد النظام والقانون. فإذا تحقق ممارسة الحرية بانضباط فإنها تفضي تلقائياً إلى تصويب الأفكار المنحرفة فيتحقق الأمن الفكري من الداخل.

<sup>14</sup> محمد إقبال، تجديد الفكر الديني في الإسلام، مصدر سابق، ص ١٦

<sup>15</sup> ابن خلدون، العلامة عبد الرحمن، المقدمة، دار الكتب العلمية (بيروت - بدون تاريخ) ص ٢٢.

وممارسة الحرية المنضبطة في حاجة إلى توازن ومعادلة بين قوة السلطة وقوة المجتمع، بمعنى أن يكون هناك أصحاب رأي وفكر ونظر وتخطيط في كلا الجانبين. وإلا إذا قويت السلطة على حساب ضعف المجتمع فإن ذلك محل بالتوازن ومنذر بالاستبداد والاضطراب. فتأمل في عهد الخلافة الراشدة، فلما كان أبو بكر (رضي الله عنه) خلفية كان في المجتمع عمر وعلى (رضي الله عنهما)، فكان المجتمع قوياً وكان الخليفة قوياً فصارت الدولة مستقرة بتعادل السلطة والمجتمع. ولكن لما انتهى عهد الخلافة وانعزل عدد من الصحابة جانباً عن العمل في الحياة العامة أصبحت المعادلة بين الدولة والمجتمع جانحة مختلفة فكثرت الفتن، لأن وجود الصحابة بثقلهم كان يقوي المجتمع الراشد مهما كانت قوة الخلافة. واليوم نرى صراعات ظاهرة أو خفية بين الدولة والمجتمع في كثير من بلاد المسلمين.

أما إذا حاولت السلطة أو الدولة حمل الناس على التدين قسراً سيصبح جلّ الدين أو بعضه نفاقاً. والمجتمع الإسلامي الأمثل هو الذي يحصر وظائف الدولة فيما لا سبيل للناس إليه إلا عن طريقها، مثل سد الثغور وتحقيق العدل بإقامة القانون، ويوسع دور المجتمع بالقدر الممكن، لأن ذلك يعني أن الحياة يديرها المجتمع بغاية دينية خالصة لا تشوبها شائبة باعث وضعي.

#### ٤/٢. الأمن الفكري في بعده الثقافي والحضاري

إن أهم العوامل الثقافية والحضارية التي تلعب دوراً جوهرياً في تحقيق الأمن الفكري في هذا العصر تتمثل في الوعي بالذات ثم الوعي بالغير. ويتحقق كل ذلك عبر تطوير دور منافذ التربية مثل المناهج التربوية ودور الأسرة والمسجد، والاهتمام بدور وسائل الإعلام. فهذه هي المجالات والمنافذ المهمة لمخاطبة العقول والتشكيل الأفكار نحو تكوين الجيل الجديد القادر على حمل عبء الرسالة الكونية في عصر العولمة.

فإعادة بناء إنسان الاستخلاف والهداية والعمران لا سبيل فعال أمام الأمة إلا سبيل إصلاح فكرها ومناهجها وتنقية ثقافتها مما علق بها من شوائب<sup>١٦</sup>. ولذلك يتحقق الأمن الفكري في بعده الثقافي والحضاري عندما يكون المسلم مدركاً لمهمته العالمية، أي مكانته الرفيعة وسط الأمم بأنه حامل للرسالة الكونية الخاتمة، وأن العزة والرحمة والتسامح والتوازن هي أهم خصائص دينه الحكيم. ويتحقق الأمن الفكري ثقافياً وحضارياً عندما يكون المسلم ثابتاً على المبادئ منفطحاً على الحق مرناً في تعامله، محباً

<sup>16</sup> راجع عرضاً وتحليلاً تاريخياً جليلاً لقضايا الصراع في المجتمع المسلم، عبد الحميد أبو سليمان في كتابه "العنف وإدار الصراع السياسي في الفكر الإسلامي بين الخيار والمبدأ"، طبعة المعهد العالمي للفكر الإسلامي ودار السلام (القاهرة- ٢٠٠٢)، ط ١، ص ١٠.



للجماعة مبعوضاً للفرقة والتشردم. ويتحقق الأمن الثقافي والحضاري عندما يكون المسلم متزناً في شأنه كله، بعيداً عن الغلو، قادراً على تقبل الرأي الآخر محباً لنقد الذات. ويتحقق الأمن ثقافياً وحضارياً عندما يكون المسلم متصفاً بشمولية النظر في البحث المعرفي، قادراً على التحليل والتركيب، مدركاً للصحيح من الرأي من السقيم. ويتحقق الأمن الثقافي والحضاري عندما يكون الفكر المسلم متسقاً مع عمله والفرد مع الجماعة والسلطة مع المجتمع.

فالأمن الفكري في بعده الثقافي والحضاري يعني التأمين ضد استرقاق أو استعباد الأمم عبر الاستلاب الحضاري والثقافي أو عبر الغزو الفكري أو العسكري، أو بإشاعة ما أسماه الأعداء المعاصرون بالفوضى الخلاقة في المجتمعات المسالمة. أما الأمن الفكري في بعده الحضاري فيعني التفاهم، والتسامح، والاستقرار، والتنمية، وإثبات وجود بتحقيق الذات، حيث يتمكن المرء أن يسهم بفاعلية في صناعة الحياة والتاريخ. تلك هي الأسس التي وضعها وبيّنها صاحب الرسالة الخاتمة كما سيتبين.

## ٢/٤ - ١. أسس السلام والتعاون العالمي

يرى كثير من الباحثين المسلمين المعاصرين أن محاولة الاستقلال وتقليص أثر النظام العالمي الجديد على الأمة لا بد أن تستكمل باستقلال فكري وعقدي وحضاري. ويلخص أحد الباحثين أسس السلام والتعاون العالمي وفق المنظور الإسلامي في ثلاثة الأمور<sup>١٧</sup>: **الأساس الأول** هو روح الإنتماء الإنساني بين الأمم والشعوب. فالأمم جميعاً، وفق المنظور الإسلامي، من نفس واحدة وما بينهم من تنوع هو للتعاون والتكامل، واختلاف الألوان من صور آيات خلق الله في الإنسان وإبداعه لا للتعصب والتفاضل والتعالي. فقيمة الإنسان في ذاته وجوهره وراقي نفسه لا في عرقه أو لونه أو نسبه. **والأساس الثاني** للتعاون الدولي هو العدل: فالعدل هو الأساس في التعاملات بين البشر، ولو على النفس أو القريب، ولو أحقاقاً لحق الخصم. فلا سلام ولا أمن دون العدل، ولذلك كان العدل هو أحد الأسس التي تقوم عليها فلسفة الإسلام ورؤيته وبنائه. أما **الأساس الثالث** فهو حسُّ المسؤولية: فمن أمن المساءلة والعقاب ضعف ضميره ومال إلى الظلم والتجاوز.

ووفق رؤية عبد الحميد أبو سليمان هذه إن لم يرقم الحوار الحضاري والسلام العالمي على هذه الأسس فإن القدرات المادية والتكنولوجية وإلتحام الأمم سيكون من أسباب التظالم والعنف ويقود إلى مستقبل أشد ظلماً وقسوة ودموية. ولذلك فإن التفاعل الإيجابي للحضارات والأمم إنما هو تدافع نحو مستويات

<sup>17</sup> أبو سليمان، المصدر السابق، ص ٧٢-٧٣.

أعلى من الأداء والتوازن الحضاري، وهو بذلك يسهم اسهاماً إيجابياً في التدافع السلمي والسعي نحو التكامل والتفاعل الإيجابي واحترام الإنسانية<sup>18</sup>.

### ٣. أهم أسس الأمن الفكري في السنة النبوية

إن موضوع الأمن الفكري في السنة النبوية لم يكن مؤسساً بالتنصيص النظري فحسب، بل كان منهجاً ومبادئ عملية تجلّت في مواقف صاحب الرسالة الخالدة - صلى الله عليه وسلم - وفي تعاملاته الحكيمة مع مكونات المجتمع<sup>19</sup>، ثم في سيرة أصحابه الكرام ضوان الله عليهم أجمعين. فالمسلمون في هذا العصر في حاجة ماسة للعودة إلى المنهج النبوي، أكثر من أي وقت مضى، لإلتماس الحلول ورسم الاستراتيجيات لمواجهة قضايا هذا العصر الشائكة.

جاءت السنة النبوية الشريفة، وهي التطبيق العملي للقرآن الكريم، لتحقيق المنهج القرآني على الواقع من خلال وضع دعائم الأمن الإنساني بصورة عامة، والأمن الفكري على وجه الخصوص وترسيخها في المجتمع المسلم. فتأمل في المنهج النبوي في تعامله مع القطاعات المختلفة في المجتمع، وخاصة مع قطاع الشباب وما يحملونه من أفكار شاذة أحياناً ومتطرفة أحياناً أخرى! بل تأمل في ما جاء في دستور المدينة، المعروف بـ "وثيقة المدينة"، وهي أهم وثيقة كُتبت بعد الهجرة، وربما في التاريخ، لتقنين العلاقة والترابط الداخلي للمجتمع الواحد، في ظل تباين عرقي وثقافي وديني، من أجل تحقيق الأمن الفكري والاجتماعي للجميع!

بعد دراسة وتأمل في سيرته صلى الله عليه وسلم ومنهجه في تربية المجتمع، وبعد النظر الدقيق فيما ورد عنه من أحاديث صحيحة، يمكن تلخيص أهم أسس الأمن الفكري في السنة النبوية في الآتي:

### ١/٣. التوحيد أساس الأمن:

<sup>18</sup> المصدر السابق، نفس الموضع.

<sup>19</sup> مثلاً، أنه (صلى الله عليه وسلم)، كان لا يميل إلى التحريج والتشهير بالناس حتى في إصلاح الخطأ، وإنما كان يقول في توجيهه (ما بال أقوام يقولون كذا.... وكذا)، أو يقول (ما بال أقوام يفعلون كذا... وكذا) ولا يذكر أحداً باسمه.

توحيد الله تعالى كما هو أساس الدين والاعتقاد، فهو أساس كل خير وفلاح دنيوي وأخروي. ومن ذلك أنه أساس الأمن في الدنيا والآخرة. عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كنت خلف النبي صلى الله عليه وسلم يوماً فقال: (يا غلام إني أعلمك كلمات: أحفظ الله يحفظك، أحفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله تعالى لك. وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف).<sup>20</sup> وفي رواية الإمام أحمد: (أحفظ الله تجده أمامك، تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة، واعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك، وما أصابك لم يكن ليخطئك، واعلم أن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسراً). وهو موافق لقول الله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ (الأنعام). فالتوحيد عاصم لصاحبه من أن ينزل في مهاوي الاستلاب الفكري الذي يدير دفة مركبه أعداء الأمة، يرومون بذلك إعادة توجيه عقول وسلوك المسلمين لصالح مخططاتهم، بله الانسياق إلى الارتواء في أحضانهم يبيع المسلم نفسه لهم وخيانة أمته أو وطنه أو الانسلاخ من مبادئه وقيمه. وهذه مسألة يجب إبرازها لطلابنا في كتب المقررات الدراسية سواء أكانت الدينية أو التربية الوطنية كإجراء استباقي يرمي لتحسين عقول شبابنا وتثبيت قلوبهم وتوجيه عقولهم وسلوكهم.

ومن أسس هذا التحسين لعقول المسلمين تجانس المنهج المعرفي. يقول الدكتور النجار: "إن عقيدة التوحيد تجمع المسلمين على تصور موحد للوجود والكون والمصير. وهذه العقيدة الموحدة للمسلمين أيديولوجياً هي الموحدة أيضاً لعقولهم بتشكيلها على خصال منهجية في النظر المعرفي متجانسة، وأصبحوا بها يفكرون بالطريقة نفسها، فيتوصلون إلى رؤى وحلول متجانسة في تدبير الحياة"<sup>21</sup>.

ومن المميزات التي ينفرد بها التوحيد في هذا المجال ضبطه لسلوك معتنقيه لا من خلال أنظمتهم وحدوده فحسب بل من خلال إيجاد رقيب داخلي في كل فرد من أفراد المجتمع يتبع به تلك الأنظمة التي قررها ويقف عند الحدود التي رسمها. يقول عبدالله الزامل في تقرير هذه الخصيصة: "إذا استبعدنا الجرائم ذات العلاقة بالأفكار، فإن المجتمع المسلم ينفرد أو يكاد، عن غيره من المجتمعات بوجود أنواع من الروادع غير تلك المألوفة عند غيره من قوة نظام وقانون وعقوبات ودقة في تنفيذها، لذا فإنه من السهل جداً إدارته أمنياً، إذا ما تحقق تحكيم الإسلام فيه والتزام أفرادها بتطبيقه على وجهه الصحيح، وبفهم تضاء به

<sup>20</sup> رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح. (ح: ٢٥١٦).

<sup>21</sup> النجار، عبد المجيد، دور حرية الرأي في تحقيق الوحدة الفكرية بين المسلمين (المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط ١، ١٩٩٢م)، ص ٣٢.

الدروب، وتفتح معه الأذهان، وتنقى له القلوب. السلوك والممارسات في أشكالها السلبية والإيجابية تتحدد معها أشكال المجتمعات، ولها من الضبط وضده ما يجعلها نافعة أو ضارة، ولدى المسلمين دون غيرهم العديد من الضوابط منها: الرقيب الداخلي والتغذية الذاتية الروحية المستمدة من وجود الرقيب وإن غاب، والعقاب وإن تأخر الحساب. ولعل ما نشاهده من مظاهر البعد عن الالتزام بالإسلام في أرصفة وطرق وبيوت المجتمعات الإسلامية في هذا الزمن أوجد مظاهر متعددة للجريمة وأشكالاً مختلفة لما يخل بالأمن ويكدر صفو الحياة. الأمر الذي يقضي بأن تتجه الجهات المسؤولة عن الأمن في البلاد الإسلامية إلى تنمية الوازع الديني لدى الأفراد لأن مهمة الإدارة الأمنية الخارجية لدى الحكومات تسهل كلما نمت الإدارة الأمنية الذاتية أو الداخلية لدى الشعوب<sup>٢٢</sup>.

إذا تقرر ذلك فإن أهم ما يهدد هذا الأصل هو:

- أ. ترويج الفساد الأخلاقي مع غياب أو ضعف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. لذا جاء الأمر بالتواصي بالحق والتواصي بالصبر بين المؤمنين.
- ب. ضعف الوازع الديني وانتشار المعاصي والاستهانة بها. وهو أمر قد يكون ناتج عن سابقه. ولا عجب أن نجد علماءنا يذكرون بأن المعاصي قادح في كمال التوحيد.
- ج. الالتقاء مع أهداف المخالف أو العدو كما حصل من الكتاب العرب الذين وجدت كتاباتهم في النيل من الإسلام وحملته، أثناء حرب الإبادة التي شنها اليهود على مسلمي غزة رواجاً عند قادة اليهود فأوصوا بمنح بعض أولئك الكتب وسام دولتهم ونشر مقالاتهم على مواقعهم. وهو أمر يحصل لأول مرة في التاريخ الحديث.

### ٢/٣. تعظيم الحق والانفتاح عليه وتشجيع حبه وقبوله والانقياد له

هذا الأساس هو أصل الأمن الفكري بشكل عام، وفيه تجاوز للتقاليد والأمية والتعصب والتقليد الأعمى. ومن ذلك إقرار النبي صلى الله عليه وسلم للصحابيين الذين اختلفوا في قراءتهما بقوله صلى الله عليه وسلم: (كلاهما محسن).<sup>٢٣</sup> وكذا قوله صلى الله عليه وسلم لأبي هريرة في شأن ما قاله له الشيطان:

<sup>٢٢</sup> الزامل، عبد الله، الوازع الديني، مقالة منشورة في جريدة الرياض، الاحد ٢٠ جمادى الآخرة ١٤٢٧هـ - ١٦ يوليو ٢٠٠٦م - العدد

١٣٩٠١. من موقع: <http://www.alriyadh.com/>

<sup>٢٣</sup> البخاري، صحيح البخاري مع فتح الباري، كتاب الخصومات، باب ما يذكر في الأشخاص، والخصومة بين المسلم واليهود، رقم

الحديث ٢٤١٠، ج ٥، ص ٧٠.

"إِذَا أُوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ فَأَقْرَأْ آيَةَ الْكُرْسِيِّ لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنَ اللَّهِ حَافِظٌ وَلَا يَقْرُبُكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ". فقال صلى الله عليه وسلم: "صَدَقَ وَهُوَ كَذُوبٌ ذَاكَ شَيْطَانٌ"<sup>٢٤</sup>. ومن ذلك إقرار النبي بأن شعر لبيد كان أصدق كلمة قالها الشاعر على الرغم من أنه غير مسلم. فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم: "أَصْدَقُ كَلِمَةٍ قَالَهَا الشَّاعِرُ كَلِمَةُ لَبِيدٍ أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا اللَّهَ بَاطِلٌ وَكَادَ أُمَيَّةُ بْنُ أَبِي الصَّلْتِ أَنْ يُسَلَّمَ"<sup>٢٥</sup>. ومن ذلك إجازة النبي صلى الله عليه وسلم الرواية عن بني إسرائيل التي لا تتعارض عما جاء به المصطفى باعتبار أن ما روي عنهم ليست كلها كذب. عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "حَدَّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ حَدَّثُوا عَنِّي وَلَا تَكْذِبُوا قَالَ وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ قَالَ هَمَّامٌ أَحْسَبُهُ قَالَ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ"<sup>٢٦</sup>.

وهناك أسباب قد تحول دون تقبل الحق منها الجهل والحسد، وقد بوب ابن قيم الجوزية في كتابه "هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى" باباً عن الأسباب المانعة عن قبول الحق قال فيه: "والأسباب المانعة من قبول الحق كثيرة جداً فمنها الجهل به وهذا السبب هو الغالب على أكثر النفوس فإن من جهل شيئاً عاداه وعادى أهله فإن انضاف إلى هذا السبب بغض من أمره بالحق ومعاداته له وحسده كان المانع من القبول أقوى فإن انضاف إلى ذلك ألفه وعاداته ومرباه على ما كان عليه آباؤه ومن يحبه ويعظمه قوى المانع فإن انضاف إلى ذلك توهمه أن الحق الذي دعي إليه يحول بينه وبين جاهه وعزه وشهوته واغراضه قوى المانع من القبول جداً فإن انضاف إلى ذلك خوفه من أصحابه وعشيرته وقومه على نفسه وماله وجاهه كما وقع لهرقل ملك النصارى بالشام على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ازداد المانع من قبول الحق قوة..." إلى أن قال: "ومن أعظم هذه الأسباب الحسد فإنه داء كامن في النفس ويرى الحاسد المحسود قد فضل عليه وأوتي ما لم يؤت نظيره فلا يدعه الحسد أن ينقاد له ويكون من أتباعه"<sup>٢٧</sup>.

ومن الأسباب الصادة عن الحق التعصب: (إن التحيزات المعرفية المنظمة تصاحب غالباً عملية تكوين الانطباعات عن الأشخاص الآخرين. فحينما تقوم مجموعة من الأشخاص بتكوين انطباع محدد عن

<sup>24</sup> البخاري، صحيح البخاري مع فتح الباري، تحقيق عبد العزيز بن عبد الله بن باز، ومحب الدين الخطيب (بيروت: دار الفكر، د.ت)، كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده، رقم الحديث ٣٢٧٥، ج ٦، ص ٣٣٥. وأخرجه البخاري: من حديث أبي هريرة: كتاب الوكالة، باب إذا وكل رجلاً... (ح: ٢٢١٥).

<sup>25</sup> البخاري، صحيح البخاري مع فتح الباري، كتاب مناقب الأنصار، باب أيام الجاهلية، رقم الحديث ٣٨٤١، ج ٧، ص ١٤٩. ومسلم، صحيح مسلم، كتاب الشعر، باب حدثنا عمرو الناقد، رقم الحديث ٦٠٢٦، ج ٧، ص ٤٩.

<sup>26</sup> . أحمد، المسند، رقم الحديث ١١٥٣٦، ج ١٨، ص ٩٤-٩٥.

<sup>27</sup> ابن قيم الجوزية، هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى (المدينة: مطبعة الجامعة الإسلامية، ط ١)، ص ١٦.

شخص آخر، يغلب أن يؤدي ذلك إلى حدوث التشويهات في الإدراكات، مما يجعلهم يستجيبون غالباً لمعظم المنبهات السائدة، باستجابة مفرطة. وتؤدي هذه المحاولات نفسها إلى حدوث التعصب وتكوين القوالب النمطية)<sup>٢٨</sup>. ويقول أندريه هاينال في شرح أثر هذه الظاهرة: (إننا مضطرون للملاحظة بأن الشبان ينحذبون إلى تجمعات وتكتلات دينية أو علمانية، حسب البلدان، لكنها تجمعات تعصبية أيضاً. ويمكننا التساؤل عن الحاجة التي تدفعهم نحو ذلك. فقد رأينا أن التعصب يمنح الأمان المعرفي وتوطيد النرجسية، غير أننا لا نستطيع تفسيره إلا إذا أخطنا باللحظة الثقافية للحضارة. اللحظة التي يزدهر فيها التعصب. ودونما داع إلى ذكر السعي الأبدى لأصحاب الدين أو numinosum حسب تعبير يونغ، يبدو أن نقصاً في المثل، محددًا في السلسلة التاريخية/ الثقافية الراهنة، يمثل هذه الحاجة إلى المثلة، إلى الاصطفاف بين المصطفين، في حين أن التعددية، الليبرالية، الشك الكامل وراء الفكر العلمي، يحس بها كأنها مثل صعبة المنال، فنداؤها الانفعالي أقل تأثيراً من دعوة المثل التي تعد بإعطاء جواب سريع في نطاق جماعة تعرض نفسها كجماعة مختارة. وغالباً ما يجري في الحركات التعصبية، تعبئة الناس وربطهم بمثل وضعية، مثل عدالة أكبر)<sup>٢٩</sup>.

### ٣/٣ الأمر بالوحدة والألفة والدخول في سلك الجماعة ونبذ الفرقة والاختلاف والتشردم.

وهي ركيزة عظيمة في هذا الباب. وقد أرشد النبي صلى الله عليه وسلم أمته إلى ضرورة أن يكونوا أمة واحدة تربطهم أواصر الأخوة والمحبة حيث قال في حديث أبي هريرة رضي الله عنه: "لَا تَدَابَرُوا وَلَا تَبَاغَضُوا وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا"<sup>٣٠</sup>. وفي رواية مسلم: « لَا تَحَاسَدُوا وَلَا تَنَاجَشُوا وَلَا تَبَاغَضُوا وَلَا تَدَابَرُوا وَلَا يَبْغَضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا. الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَخْذُلُهُ وَلَا يَحْقِرُهُ. التَّقْوَى هَاهُنَا - وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ - بِحَسَبِ أَمْرٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ وَمَالُهُ وَعَرْضُهُ ». <sup>٣١</sup> وفي رواية البخاري: "إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ فَإِنَّ

<sup>28</sup> عبد الله، معتز سيد، التعصب دراسة نفسية اجتماعية (القاهرة: دار الغريب للطباعة والنشر، ط ٢، ١٩٩٧م)، ص ١٣٠.

<sup>29</sup> هاينال، اندريه، ومكلوس مولنار، وجيرار دي بوميج، سيكولوجية التعصب، ترجمة د. خليل أحمد خليل (لندن: دار الساقى، ط ١، ١٩٩٩م)، ص ٤٣-٤٤.

<sup>30</sup> أحمد، المسند، تحقيق شعيب الأرناؤوط (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط ٢، ١٩٩٩م)، مسند أبي هريرة، رقم الحديث ١٠٠٦٢، ج ١٦، ص ٩٢.

<sup>31</sup> مسلم، صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه وماله، رقم الحديث ٦٧٠٦، ج ٨، ص ١٠. وأحمد، المسند، رقم الحديث ٧٧٢٧، ج ١٣، ص ١٥٩.

الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ وَلَا تَحَسَّسُوا وَلَا تَحَاسَدُوا وَلَا تَدَابَّرُوا وَلَا تَبَاغَضُوا وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا»<sup>٣٢</sup> كما دلت الأحاديث النبوية على وجوب تعاون المسلمين، من ذلك حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أخبره أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يُسْلِمُهُ وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبَاتٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ"<sup>٣٣</sup>. ومنها حديث الثُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى»<sup>٣٤</sup>.

كما بين الرسول أن البركة وعون الله مع الجماعة عن ابن عباس قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدُ اللَّهِ مَعَ الْجَمَاعَةِ<sup>٣٥</sup>. وأن يحب المسلم لأخيه المسلم مثل ما أحبه لنفسه فعن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ - أَوْ قَالَ لِجَارِهِ - مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ»<sup>٣٦</sup>. وعن أبي هريرة قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ نَفَسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ الدُّنْيَا نَفَسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ يَسَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ»<sup>٣٧</sup>.

الوحدة والألفة كما قررهما السنة النبوية قررهما القرآن الكريم في مواضع عديدة كما في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (١٠٢) ﴿آل عمران﴾. وقوله

<sup>32</sup> البخاري، صحيح البخاري مع فتح الباري، كتاب الأدب، باب ما ينهى عن التحاسد والتدابير وقوله تعالى: (ومن شر حاسد إذا حسد)، رقم الحديث ٦٠٦٤، ج ١٠، ص ٤٨١.

<sup>33</sup> البخاري، صحيح البخاري مع فتح الباري، كتاب المظالم، باب لا يظلم المسلم المسلم ولا يسلمه، رقم الحديث ٢٤٤٢، ج ٥، ص ٩٧.

<sup>34</sup> مسلم، صحيح مسلم (بيروت: دار الجيل، دت)، كتاب البر والصلة والآداب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاظدهم، رقم الحديث ٦٧٥١، ج ٨، ص ٢٠.

<sup>35</sup> . الترمذي، سنن الترمذي، تحقيق بشار عواد معروف (بيروت: دار الجيل، ط ٢، ١٩٩٨م)، كتاب الفتن، باب لزوم الجماعة، رقم الحديث ٢١٦٦، ج ٤، ص ٣٩.

<sup>36</sup> مسلم، صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من خصال الإيمان أن يحب لأخيه المسلم ما يحبه لنفسه، رقم الحديث ١٧٩، ج ١، ص ٤٩. والترمذي، سنن الترمذي، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، باب، رقم الحديث ٢٥١٥، ج ٤، ص ٢٨٤. والنسائي، سنن النسائي، كتاب الإيمان وشرايعه، باب علامة الإيمان، رقم الحديث ٥٠٣١، ج ٨، ص ٤٨٩.

<sup>37</sup> مسلم، صحيح مسلم، كتاب الدعاء والذكر والتوبة، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر، رقم الحديث ٧٠٢٨، ج ٨، ص ٧١. والترمذي، سنن الترمذي، كتاب القراءات، باب، رقم الحديث ٢٩٤٥، ج ٥، ص ٦٠.

تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوِيكُمْ ۖ وَأَتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (١٠)﴾ (الحجرات). وقوله تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَاصْبِرُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ (٤٦)﴾ (الأنفال). وقوله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٧١)﴾ (التوبة). وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًا كَانَهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ (٤)﴾ (الصف).

فالوحدة هي أساس الأمن الاجتماعي والفكري. وأمر الوحدة والألفة والاجتماع متقرر معلوم، إلا أنه يحتاج إلى تأكيد وتكرار وغرس في عقول وقلوب أجيالنا الصاعدة بالتحذير مما يخالفه ويهدده وأهم ذلك: **أ. التحزب الديني:** بصرف الولاء من الأمة إلى الحزب يقول الشيخ القرضاوي: "ومن التعصب الذي ينبغي أن نحذر منه: التعصب للفئة أو الحزب أو للجماعة التي ينتسب إليها المسلم، تعصباً يجعله ينتصر لها بالحق وبالباطل. ومن التعصب للجماعة أو الحزب، أن يضافى عليها من الصفات ما يشبه القداسة أو العصمة، فكل ما تقوله فهو حق، وكل ما تفعله فهو جميل، وكل ما يصدر عنها فهو صواب، وكل تاريخها أجماد، وكل رجالها ملائكة!" ثم عدّد أهم مظاهر هذا التعصب كالتالي:

١. أن لا يذكر لجماعته أو لحزبه، إلا المزايا والحسنات، ولا يذكر للجماعات الأخرى إلا العيوب والسيئات، وأن يعظم رجال مجموعته مهما يكن فيهم من تقصير أو قصور، ويحقّر رجال الآخرين مهما يكن فيهم من سمو في العلم والعمل.

٢. أن يفرح بأخطاء الآخرين، وقد يشنع بها، ويضرب بها الطبل، في حين يتعامى عن أخطاء فئته وجماعته، وإذا اعترف بها حاول أن يهون منها، ويعتذر لها، ويدافع عنها.

٣. المبالغة في المحافظة على الأشكال التنظيمية للحزب أو للجماعة، كأنها أمور تعبدية، حتى يضحي في بعض الأحيان — بمصلحة الدعوة الإسلامية، والأمة الإسلامية، كيلا تخدش الصورة التنظيمية.

وقد نبّه الشيخ القرضاوي على جملة من الأخلاقيات التي يراها لازمة للدلالة على التحرر من أسر التعصب حقاً. ومن هذه الأخلاقيات: "أن ينظر إلى القول لا إلى قائله، وأن تكون لديه الشجاعة لنقد الذات، والاعتراف بالخطأ، والترحيب بالنقد من الآخرين، وطلب النصح والتقويم منهم، والاستفادة مما



عند الآخرين من علم وحكمة، والثناء على المخالف فيما أحسن فيه، والدفاع عنه إذا اهتم بالباطل، أو تطول عليه أحد بغير حق"<sup>38</sup>

ب. **الضرب على وتيرة الطائفية:** "إن هناك فرقاً كبيراً بين التعصب والطائفية كحالة فكرية أو سلوكية أو نفسية سلبية تتسم بها بعض الجماعات، وبين المذاهب الفقهية والكلامية والاتجاهات الإسلامية المختلفة التي ولدت ضمن عوامل وتطورات فكرية وتاريخية مختلفة، ربما لا تكون العصبية الطائفية من سماتها.

إن الحالة لا تقتصر على الدائرة المذهبية فقط، وإنما أيضاً ضمن الدوائر العنصرية والقبلية والجغرافية والحرية السياسية. كذلك فإننا لا نستطيع اتهام الطائفية بأنها شر مطلق، ذلك أنها جزء من التركيبة الإنسانية والفطرة البشرية. وهي ربما تكون مفيدة في حالتها الطبيعية المعقولة، وربما تنزلق إلى دائرة الإفراط والانحراف والسلبية، في الحالة الشاذة وغير المعقولة. إن الجانب السلبي القابل للرفض من الطائفية والتعصب هو ما يعبر عن انحراف في مسيرة المقتضيات الطبيعية، ذلك أن الفرد والأمة قد يتيليان نتيجة عوامل بالضعف في الشخصية المحددة، سواء على الصعيد العقائدي أو العاطفي أو السلوكي. فإذا ما صادف ذلك توفر عامل خارجي تحريضي أدى الأمر إلى ما نشاهده من أوهام عقائدية من جهة، وتعصب جاهلي مقيت من جهة أخرى. ونعني بالعامل الخارجي التأثيرات التي يمتلكها ذوو المصالح الضيقة، ويسعون لإيجادها في النفوس تحقيقاً لمطامعهم وتمويهاً على الآخرين وتسخييراً لهم لتحقيق تلك المآرب الدينية. فالضعف في الشخصية الفردية أو الاجتماعية والإعجاب بالنفس أو الطائفة في الولاء، وتأثيرات النفعيين والمترفين، كل هذه الأمور لها دورها الهام في تحويل الأمور النسبية إلى مطلقة. فالقبلية والنسب وأمثالهما أمور نسبية قد تكون طبيعية في حدود معقولة. أما الخطر كله فيكمين في ما لو حاول الإنسان أن يصعد بهذه الأمور إلى مستوى الأمور المطلقة والمعايير العامة، فحينئذ تكون الكارثة وعندئذ تكون الطائفية قد تجلت بأبشع صورها وأخس أشكالها، وحينئذ يتحول النسبي النافع إلى قيد على الذهن الإنساني فيمنعه من الانطلاق الحضاري البناء باعتبار أن هذا النسبي يرتبط بظروفه الموضوعية، فإذا جعل مطلقاً لم يعد يمكن لإنسان أن يتخطى هذه الظروف، وحينئذ فالجمود والانحطاط المقيت"<sup>39</sup>.

<sup>38</sup> د. يوسف القرضاوي: اخلاقيات التحرر من التعصب: مجلة بلاغ.

<http://www.balagh.com/youth/710sz116.htm>

<sup>39</sup> العبادي، صادق، الفكر الطائفي وأثره في انقسام الأمة، مقالة في ندوة مستجدات الفكر الإسلامي المعاصر الرابعة، ٩-١١ يناير ١٩٩٥م.

ج. **التشرذم الاثني والعرقى:** والمشكلة في استغلال الأعداء لهذا الأمر لاسيما في البلاد الإسلامية التي تعرضت للاحتلال. كما إن بعض الشخصيات والمؤسسات المعادية للإسلام صرحت بضرورة توظيف هذه الثغرة في مواجهتها لأمة الإسلام.

### ٤/٣ التوسط والاعتدال ونبذ الغلو في الفكر والعمل

فلا أمان مع غلو وتطرف، ووقوف النبي صلى الله عليه وسلم في وجه الخوارج أكبر دليل. ثم وقوع فتنهم بعد ذلك وقتالهم للمسلمين بسبب غلوهم خير دليل على خطورة الغلو. وقد تظهرت دعوة السنة النبوية إلى القصد والاعتدال والتوسط في الدين في الأمور التالية:

❖ **ضرورة المقاربة في الدين وعدم التشدد فيه** فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لَنْ يُنَجِّيَ أَحَدًا مِنْكُمْ عَمَلُهُ قَالُوا وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ وَلَا أَنَا إِلَّا أَنْ يَتَعَمَّدَنِي اللَّهُ بِرَحْمَةٍ سَدَّدُوا وَقَارِبُوا وَاعْدُوا وَرَوْحُوا وَشَيْءٌ مِنَ الدُّلْجَةِ وَالْقَصْدِ الْقَصْدَ تَبَلَّغُوا"<sup>٤٠</sup>.

❖ **تقرير حقيقة يسر الإسلام وتوسطه** كما في حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ، فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وَأَبْشِرُوا، وَاسْتَعِينُوا بِالْعَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَيْءٍ مِنَ الدُّلْجَةِ"<sup>٤١</sup>.

❖ **أمره صلى الله عليه وسلم أمته بالاعتدال والتوسط في أداء العبادة** عن جابر بن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال "إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق ولا تبغض إلى نفسك عبادة الله فإن المنبت لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى" هكذا رواه أبو عقيل وقد قيل عن محمد بن سوقة عن محمد بن المنكدر عن عائشة وقيل عنه عن محمد بن المنكدر عن النبي صلى الله عليه وسلم مرسلاً<sup>٤٢</sup>.

<sup>40</sup> البخاري، صحيح البخاري مع فتح الباري، كتاب الرقاق، باب القصد والمداومة على العمل، رقم الحديث ٦٤٦٣، ج ١١، ص ٢٩٤. وأحمد، المسند، رقم الحديث ١٠٦٧٧، ج ١٦، ص ٣٩٥.

<sup>41</sup> البخاري، صحيح البخاري مع فتح الباري، كتاب الإيمان، باب الدين يسر وقول النبي أحب الدين إلى الله الحنيفية السمحة، رقم الحديث ٣٩، ج ١، ص ٩٣.

<sup>42</sup> البيهقي، السنن الكبرى، ج ٣، ص ١٨-١٩.

ومن وصايا الرسول ترك الغلو في الدين ما جاء في حديث ابن عباس رضي الله عنهما: "قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - غَدَاةَ الْعَقَبَةِ وَهُوَ عَلَى رَاحِلَتِهِ - : هَاتِ الْقُطْ لِي فَلَقَطْتُ لَهُ حَصِيَّاتٍ هُنَّ حَصَى الْخَذْفِ فَلَمَّا وَضَعْتُهُنَّ فِي يَدِهِ قَالَ: بِأَمْثَالِ هَؤُلَاءِ وَإِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ فِي الدِّينِ فَإِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ الْغُلُوُّ فِي الدِّينِ"<sup>43</sup>

❖ **تطبيقه صلى الله عليه وسلم لما أمر به أمته من الاعتدال والتوسط في أداء العبادات** فعن أنس بن مالك رضي الله عنه يقولُ جاءَ ثلاثة رهطٍ إلى يثوبِ أزواجِ النبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يسألونَ عن عِبَادَةِ النبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَانَتْهُمْ تَقَالُوهَا فَقَالُوا وَأَيْنَ نَحْنُ مِنْ النبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ قَالَ أَحَدُهُمْ أَمَا أَنَا فَإِنِّي أُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا وَقَالَ آخَرُ أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلَا أَفْطِرُ وَقَالَ آخَرُ أَنَا أَعْتَرِلُ النِّسَاءَ فَلَا أَتَزَوَّجُ أَبَدًا فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْهِمْ فَقَالَ أَنْتُمْ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتَقَاكُمْ لَهُ لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي"<sup>44</sup>.

❖ **أمره صلى الله عليه وسلم صحابته بالتخفيف في إمامة الناس بالصلاة** كما في قصته -عليه الصلاة والسلام- مع معاذ بن جبل -رضي الله عنه- فقد جاء في الصحيحين عن جابر بن عبد الله -رضي الله عنه- قال: "كان معاذ بن جبل يصلي مع النبي -صلى الله عليه وسلم- ثم يرجع فيؤم قومه، فصلى ليلة مع النبي -صلى الله عليه وسلم- العشاء، ثم أتى قومه فأمهم، فافتتح بسورة البقرة، فانحرف رجل، فسلم، ثم صلى وحده، وانصرف، فقالوا له: أنافق يا فلان؟ قال: لا، والله لآتين رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فأخبرنه، فأتى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فقال: يا رسول الله، إنا أصحاب نواضح نعمل بالنهار، وإن معاذاً صلى معك العشاء، ثم أتى فافتتح بسورة البقرة، فأقبل رسول الله -صلى الله عليه وسلم- على معاذ فقال: "يا معاذ! أفتان أنت! اقرأ بكذا، وقرأ بكذا". وفي رواية: "يا معاذ! أفتان أنت -ثلاثاً- اقرأ: "والشمس وضحاها" و"سبح اسم ربك الأعلى، ونحوهما". وفي رواية: "فتان، فتان، فتان" ثلاث مرار أو قال: "فاتناً، فاتناً، فاتناً".

<sup>43</sup> النسائي، سنن النسائي، كتاب مناسك الحج، باب التقاط الحصى، رقم الحديث ٣٠٥٧، ج ٥، ص ٢٩٦.

<sup>44</sup> البخاري، صحيح البخاري مع فتح الباري، كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح، رقم الحديث ٥٠٦٣، ج ٩، ص ١٠٤.

### ٥/٣. الثبات على المبادئ:

وردت في السيرة النبوية أحداث كثيرة ومتنوعة بينت ثباته صلى الله عليه وسلم وعدم تنازله عن ما جاء به من الحق رغم تعدد الإغراءات التي عرضها عليه صناديد قريش. ومن الأقوال الخالدة التي قررت هذه الحقيقة الغراء قوله صلى الله عليه وسلم لقادة قريش: «لو وضعت الشمس في يميني، والقمر في يساري ما تركت هذا الأمر حتى يظهره الله، أو أهلك في طلبه».

والثبات على الحق يمثل أرضية صلبة لمواجهة طوفان الغزو الفكري وتشكيك المسلمين في دينهم ومبادئهم ونبیهم اليوم والمتمثل في المهجمة الحاقدة على دين الإسلام وتشويه صورته الناصعة من قبل أعدائه. وقد مدح القرآن الثابتين على مبادئهم فقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ (٣٠)﴾ (فصلت). وقد حث النبي أصحابه على الثبات على المبدأ فعن خباب بن الأرت قال: "شكونا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة فقلنا: ألا تستنصر لنا ألا تدعو لنا؟ فقال: قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له في الأرض فيجعل فيها، فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيجعل نصفين ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه، فما يصده ذلك عن دينه. والله ليتمن هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون"<sup>٤٥</sup>

وضرب صلى الله عليه وسلم لصحابته مثلاً عملياً فيما حثهم عليه من الثبات على المبادئ بعدم قبوله الشفاعة في الحدود تمسكاً بمبادئه "فَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ قُرَيْشًا أَهَمَّهُمْ شَأْنُ الْمَرْأَةِ الْمَخْزُومِيَّةِ الَّتِي سَرَقَتْ فَقَالُوا وَمَنْ يُكَلِّمُ فِيهَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالُوا وَمَنْ يَجْتَرِئُ عَلَيْهِ إِلَّا أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ حِبُّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَكَلَّمَهُ أُسَامَةُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ ثُمَّ قَامَ فَاخْتَطَبَ ثُمَّ قَالَ إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ وَإِنَّمَا اللَّهُ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا"<sup>٤٦</sup>.

<sup>٤٥</sup> البخاري، صحيح البخاري مع فتح الباري، كتاب الإكراه، باب من اختار الضرب والقتل والهوان على الكفر، رقم الحديث ٦٩٤٣، ج ١٢، ص ٣١٥.

<sup>٤٦</sup> البخاري، صحيح البخاري مع فتح الباري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما بعد باب حديث الغار، رقم الحديث ٣٤٧٥، ج ٦، ص ٥١٣. ومسلم، صحيح مسلم، كتاب الحدود، باب قطع السارق الشريف وغيره والنهي عن الشفاعة في الحدود، رقم الحديث ٤٥٠٥، ج ٥، ص ١١٤.

ومما يهدد سلامة هذا الأصل:

أ. **تحديات العولمة:** يقول الدكتور عبد العزيز برغوث: "إشكالات العولمة في الحقيقة لا تكمن فقط في كونها عملية تحاول إلغاء تأثير الحدود الجغرافية بين المجتمعات والدول، والتقليص من الحواجز والاجراءات القانونية لانتقال الأفراد والسلع والأفكار والرسائل والوسائل والرموز فيما بين المجتمعات على المستوى العالمي، والتفتت للفوارق الثقافية والعنصرية التي تمنع الاتصال والارتباط والحوار بين المجتمعات والشعوب، والتقليص من الوظائف دول الحديثة، وحصرها في سياقات ومواقع معينة، والتفكيك للأطر الثقافية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية، وجعلها أكثر ارتباطاً واتصالاً بعوامل خارجية ليصعب التحكم فيها، والنشر والتعميم لمفاهيم الصراع والهيمنة والسيطرة وحقوق الإنسان والديمقراطية والرأسمالية العالمية والاقتصاد الحر والخصخصة وأنماط الحياة الغربية وقيم الرفاهية الغربية وغيرها، فهذه أمور آتية لا محالة معها، وهي مما لا يتم الأمر إلا به، ولكن الإشكاليات الأكثر خطورة في العولمة هي في النوعية الثقافية والسياسية والاجتماعية والتربوية والنفسية والفكرية والقيمية والأخلاقية التي ستنتج بسبب التوجيه الأيديولوجي القائم لقواها وديناميكياتها".<sup>٤٧</sup>

ب. **تحديات التقنية:** كما يصفها أحد الباحثين: "ومن الحقائق الثابتة الآن على الصعيد الثقافي، أن النظام الثقافي المسيطر على الواقع العالمي، هو النظام السمعي البصري، فالصورة اليوم هي المادة الثقافية التي يجري تسويقها على أوسع نطاق، وهي في زماننا هذا مصدر إنتاج القيم وتشكيل الوعي والوجدان والذوق. وهناك الآف الشركات التي تتنافس في مجال تقديم ثقافة أشبه ما تكون بالسلع الاستهلاكية، كما أن هناك مئات الأقمار الصناعية التي ترسل عبر شاشات الملايين من أجهزة التلفاز، رسائل ثقافية تستهدف تغريب المواطنين في عالمنا العربي والإسلامي عن مجتمعاتهم، وأصبحت صناعة الثقافة في عصرنا هذا من الصناعات العملاقة التي تستهدف حياة البشر في جوانبها المختلفة، وتعتمد إلى تسطيح الأفكار والمشاعر وإلى تزييف أو تغييب الوعي".<sup>٤٨</sup>

### ٦/٣. المرونة والتنازل عن الرأي في حال المصلحة الراجحة.

<sup>47</sup> ظاهرة العولمة ومسارها بين المقاربة الأيديولوجية والمقاربة الحضارية: مجلة إسلامية المعرفة السنة الثانية عشر العدد ٤٦-٤٧ خريف

٢٠٠٦م شتاء ٢٠٠٧م . ص ١٠٦ .

<sup>48</sup> حسن إبراهيم عبد العال، التربية الإبداعية ضرورة وجود، عمان، دار الفكر، ٢٠٠٤. ص ٩ & ١٠.

هنالك الكثير من الوقائع التاريخية في سيرته، صلى الله عليه وسلم، التي تؤكد هذا المبدأ وتشير إلى إمكان تغيير القناعات في إطار تحقيق المصالح ودفع المفساد، مثل صلح الحديبية، والأمر بالاجتهاد في قصة إرسال معاذ إلى اليمن وإقراره صلى الله عليه وسلم لاجتهاد معاذ. وبهذا الإقرار أكد النبي صلى الله عليه وسلم على خصيصة عظيمة لهذا الدين ألا وهي صلاحية الإسلام لكل زمان ومكان لكونه يعطي للعقل البشري مجالاً للاجتهاد في ضوء الشرع فيما لا نص فيه. فعندما أرادَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- أَنْ يَبْعَثَ مُعَاذًا إِلَى الْيَمَنِ قَالَ: « كَيْفَ تَقْضِي إِذَا عَرَضَ لَكَ قَضَاءٌ؟ قَالَ أَقْضِي بِكِتَابِ اللَّهِ، قَالَ: فَإِنْ لَمْ تَجِدْ فِي كِتَابِ اللَّهِ؟ قَالَ فَيَسْتَنْتِ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم-، قَالَ: فَإِنْ لَمْ تَجِدْ فِي سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- وَلَا فِي كِتَابِ اللَّهِ؟ قَالَ أَجْتَهِدُ رَأْيِي وَلَا أَلُو. فَضَرَبَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- صَدْرَهُ وَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَفَّقَ رَسُولَ رَسُولِ اللَّهِ لِمَا يُرْضَى رَسُولُ اللَّهِ »<sup>49</sup>.

**ومن مظاهر مرونة الفكر الإسلامي** أنه يراعي طبيعة البشر فعَنْ حَنْظَلَةَ الْأَسَدِيِّ - وَكَانَ مِنْ كُتَّابِ رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- قَالَ - لَقِينِي أَبُو بَكْرٍ فَقَالَ كَيْفَ أَنْتَ يَا حَنْظَلَةُ قَالَ قُلْتُ نَافَقَ حَنْظَلَةُ قَالَ سُبْحَانَ اللَّهِ مَا تَقُولُ قَالَ قُلْتُ نَكُونُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- يُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ حَتَّى كَأَنَّا رَأَى عَيْنٍ فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- عَافَسْنَا الْأَزْوَاجَ وَالْأَوْلَادَ وَالضَّيِّعَاتِ فَنَسِينَا كَثِيرًا قَالَ أَبُو بَكْرٍ فَوَاللَّهِ إِنَّا لَنَلْقَى مِثْلَ هَذَا. فَأَنْطَلَقْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ حَتَّى دَخَلْنَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- قُلْتُ نَافَقَ حَنْظَلَةُ يَا رَسُولَ اللَّهِ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- وَمَا ذَاكَ؟ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ نَكُونُ عِنْدَكَ تُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ حَتَّى كَأَنَّا رَأَى عَيْنٍ فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِكَ عَافَسْنَا الْأَزْوَاجَ وَالْأَوْلَادَ وَالضَّيِّعَاتِ نَسِينَا كَثِيرًا. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم-: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنْ لَوْ تَدُومُونَ عَلَى مَا تَكُونُونَ عِنْدِي وَفِي الذِّكْرِ لَصَافَحْتَكُمْ الْمَلَائِكَةُ عَلَى فُرُشِكُمْ وَفِي طُرُقِكُمْ وَلَكِنْ يَا حَنْظَلَةُ سَاعَةً وَسَاعَةً ثَلَاثَ مَرَّاتٍ<sup>50</sup>. وَعَنْ عُرْوَةَ أَنَّهُ حَدَّثَهُ أَنَّ عَائِشَةَ حَدَّثَتْهُ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ الصَّدِيقَ دَخَلَ عَلَيْهَا وَعِنْدَهَا جَارِيَتَانِ تَضْرِبَانِ بِالْذَّفِّ وَتُغْنِيَانِ وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

<sup>49</sup> أبو دود، سنن أبي داود (بيروت: دار الكتاب العربي، د.ت)، كتاب الأفضية، باب اجتهاد الرأي في القضاء، رقم الحديث ٣٥٩٤، ج ٣،

ص ٣٣٠. وأحمد، المسند، رقم الحديث ٢٢١٠٠، ج ٣٦، ص ٤١٦-٤١٧.

<sup>50</sup> مسلم، صحيح مسلم، كتاب التوبة، باب فضل دوام الذكر والفكر في أمور الآخرة والمراقبة، رقم الحديث ٧١٤٢، ج ٨، ص ٩٤.

مُسَجَّى بِثَوْبِهِ وَقَالَ مَرَّةً أُخْرَى مُتَسَجِّجٌ ثَوْبُهُ فَكَشَفَ عَنْ وَجْهِهِ فَقَالَ دَعُهُمَا يَا أَبَا بَكْرٍ إِنَّهَا أَيَّامٌ عِيدٍ وَهُنَّ أَيَّامٌ مِنِّي وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَعِدٍ بِالْمَدِينَةِ<sup>٥١</sup>

ومن مظاهر مرونة الإسلام إعطاؤه الرخصة لأصحاب الأعذار فعَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ كَانَتْ بِي بَوَاسِيرٌ فَسَأَلْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ الصَّلَاةِ فَقَالَ صَلِّ قَائِمًا فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَقَاعِدًا فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَعَلَى جَنْبٍ<sup>٥٢</sup>. ومن الصور العملية الرائعة التي سطرها لنا السيرة النبوية مرونة النبي صلى الله عليه وسلم مع عامله: قَالَ أَنَسٌ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ خُلُقًا فَأَرْسَلَنِي يَوْمًا لِحَاجَةٍ فَقُلْتُ وَاللَّهِ لَا أَذْهَبُ. وَفِي نَفْسِي أَنْ أَذْهَبَ لِمَا أَمَرَنِي بِهِ نَبِيُّ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- فَخَرَجْتُ حَتَّى أَمُرَّ عَلَى صَبِيَّانٍ وَهُمَا يَلْعَبُونَ فِي السُّوقِ فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- قَدْ قَبْضَ بِقَفَايَ مِنْ وَرَائِي - قَالَ - فَظَرْتُ إِلَيْهِ وَهُوَ يَضْحَكُ فَقَالَ « يَا أُنَيْسُ أَذْهَبْتَ حَيْثُ أَمَرْتُكَ ». قَالَ قُلْتُ نَعَمْ أَنَا أَذْهَبُ يَا رَسُولَ اللَّهِ.<sup>٥٣</sup> قَالَ أَنَسٌ وَاللَّهِ لَقَدْ خَدَمْتُهُ تِسْعَ سِنِينَ مَا عَلِمْتُهُ قَالَ لَشَيْءٍ صَنَعْتُهُ لَمْ فَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا أَوْ لَشَيْءٍ تَرَكْتُهُ هَلَّا فَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا.<sup>٥٤</sup>

### ٧/٣. تغيير زوايا النظر<sup>٥٥</sup>:

إن الإطار الفكري، هو الناظم لمجموعة القيم والمعتقدات لأي فئة أو طائفة أو فرقة وهو الأساس الذي تقوم عليه المسارات الذهنية المتشكلة عبر الزمن والمتكررة مع مرور الأيام والسنين، والتي من خلالها يتم ترتيب المعلومات وتكوين المفاهيم والآراء، وصياغة الأفكار والرؤى ويتم ترسيخ المعتقدات والقيم حقاً كانت أم باطلاً. وهو مرتبط بالفتاوى والاجتهادات، و أساس اتخاذ القرارات والمواقف وفي ضوءه يتم حلّ المشاكل والتعامل مع التحديات. وتتدخل عوامل كثيرة في تشكيله منها: البيئة والمجتمع، ومنها

<sup>51</sup> النسائي، سنن النسائي، كتاب صلاة العيدين، باب الرخصة في الاستماع إلى الغناء وضرب الدف يوم العيد، رقم الحديث ١٥٩٦، ج ٣، ٢١٨.

<sup>52</sup> البخاري، صحيح البخاري مع فتح الباري، كتاب تقصير الصلاة، باب إذا لم يعلق قاعداً فعلى جنب، رقم الحديث ١١١٧، ج ٢، ص ٥٨٧.

<sup>53</sup> مسلم، صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب كان رسول الله أحسن الناس خلقاً، رقم الحديث ٦١٥٥، ج ٧، ص ٧٤.

<sup>54</sup> مسلم، صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب كان رسول الله أحسن الناس خلقاً، رقم الحديث ٦١٥٦، ج ٧، ص ٧٤.

<sup>55</sup> مقتبسة بنوع من التصرف من: "وسائل ترشيد الفهم الصحيح لفقه التدين" جمال أحمد بادي. ورقة مقدمة لمؤتمر فقه التدين (الواقع والتطلعات) جامعة اليرموك الأردن ٢٠٠٨/٥/٣٠ م.

التعليم والثقافة وغيرها. ويتم تشكله في العقل الباطن أو اللا شعور، لذا يصعب التفطن إليه ومن باب أولى تخطيه وتجاوزه.

والإطار الفكري وفق هذا التعريف هو السبب في تحويل الصواب إلى خطأ والخطأ إلى صواب، والبدعة إلى سنة والسنة إلى بدعة، والظن إلى يقين واليقين إلى ظن، والمتهم إلى بريء، والبريء إلى متهم، والأوهام إلى حقائق، والخرافات إلى معتقدات، والأباطيل والأراجيف إلى تاريخ، والحق إلى باطل والباطل إلى حق. وهي أمور محيرة يحتاج المؤمن إلى مجاهدة مستمرة واتصال بالله تعالى واللجوء إليه طلباً لعونه في تجاوز كل هذه المفاوز وهذا قد يفسر الدعاء المأثور الجامع: "اللهم أرنا الحق حقاً وارزقنا إتباعه و أرنا الباطل باطلا وارزقنا اجتنابه". وهذا قد يقدم - أيضاً تفسيراً - لصعوبة توبة المبتدع وذلك لصعوبة رجوعه عن رأيه لشدة تمسكه به واعتقاده أنه حق.

ومعظم الناس - إلا من شاء الله له السلامة - لا يرون العالم كما هو بل كما يدركونه هم من خلال الأطر والقوالب التي يشكّلونها عبر الخبرة والتجربة الذاتية المتأثرة ببيئة وثقافة معينة. والحال كما وصف فإن الإنسان عند تعامله مع ما حوله ومن حوله لا يحس بأن نظريته للأمور مقيدة بذلك الإطار وإن ادّعى أنه حر في تفكيره. وعجباً لكثير من الناس ممن يحيا ما كُتِبَ له من عُمر طال أو قصر، ولم ينعم قط بطعم الحقيقة، ولم يسمح لنفسه أن يعيش الحياة كما هي في واقع الأمر، وإنما عاشها كما هي في ذهنه ومساراته المتشكلة حسب ما أدركه وفق أطر معينة أعمته عن رؤية الحقيقة. وقد يكون هذا الغبش في الرؤية جزئياً وفي بعض المسائل المحددة أو في اجتهاد في مجال من المجالات، وقد يكون انحرافاً عاماً عن بنيات الطريق تصغر أو تكبر زاويته. ولهذا الغبش في الرؤية أسباب متمثلة في عوائق تحجب التفكير السليم ومن أهمها:

أ. **العوائق الإدراكية:** نحو الاعتماد على الظن، وفساد التصور، والشبهات، والفهم الجزئي والفضل في تعدد زوايا النظر أو استعمال كافة الحواس.

ب. **العوائق النفسية:** كالخوف، والهوى وما يتبعه كالإعجاب والاعتزاز، والغضب، والحب، والبغض، والتكبر، وحطوط النفس، والتعصب.

ت. **العوائق الثقافية:** كالتقليد الأعمى، ومجاعة الآخرين.

ث. **العوائق البيئية:** عندما تكون البيئة على النهج ذاته والسلوك نفسه، ولا يسمح فيها بتجاوز المعارف عليه من الآليات، ولا يشجع التطوير ولا مجال فيها للإبداع.



ج. العوائق التعليمية (تربوية): نحو اعتماد منهج التلقين والاكتفاء به، وعدم السماح بالسؤال، ولا بالتعبير عن الرأي بله السماح بالنقد البناء ووجهة النظر المغايرة.

وهنا تبرز أهمية المقدرة على رؤية الأمور من زوايا نظر مختلفة، وتخطي العوائق المتنوعة. وهو أسلوب نبوي دعوي يشهد له حديث مسند الإمام أحمد وفيه قصة الفتى الذي طلب فيه الإذن بالزنا من النبي صلى الله عليه وسلم.

أما الغضب وكونه عائقا عن التفكير السليم فقد أشارت إليه جملة من الأحاديث منها حديث عائشة رضي الله عنها أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَا طَلَّاقَ وَلَا عَتَاقَ فِي إِغْلَاقٍ<sup>٥٦</sup>. ومنها حديث عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرَةَ قَالَ كَتَبَ أَبُو بَكْرَةَ إِلَى ابْنِهِ وَكَانَ بِسَجِسْتَانَ بِأَنَّ لَا تَقْضِي بَيْنَ اثْنَيْنِ وَأَنْتَ غَضْبَانُ فَإِنِّي سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ لَا يَقْضِيَنَّ حَكَمَ بَيْنَ اثْنَيْنِ وَهُوَ غَضْبَانُ<sup>٥٧</sup>. ومنها حديث أَبِي مِجْلَزٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: صَلَّى بِنَا عَمَّارٌ صَلَاةً فَأَوْجَزَ فِيهَا فَأَنْكَرُوا ذَلِكَ فَقَالَ أَلَمْ أُنِّمِ الرُّكُوعَ وَالسُّجُودَ قَالُوا بَلَى قَالَ إِنِّي قَدْ دَعَوْتُ فِيهِمَا بِدُعَاءٍ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدْعُو بِهِ اللَّهُمَّ بِعِلْمِكَ الْغَيْبِ وَقُدْرَتِكَ عَلَى الْخَلْقِ أَحْيِي مَا عَلِمْتَ الْحَيَاةَ خَيْرًا لِي وَتَوَفَّنِي إِذَا كَانَتْ الْوَفَاةُ خَيْرًا لِي أَسْأَلُكَ خَشْيَتِكَ فِي الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَكَلِمَةَ الْحَقِّ فِي الْغَضَبِ وَالرِّضَا وَالْقَصْدَ فِي الْفَقْرِ وَالْغِنَى وَلَذَّةَ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ وَالشَّوْقَ إِلَى لِقَائِكَ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ ضَرَاءٍ مُضِرَّةٍ وَمِنْ فِتْنَةٍ مُضِلَّةٍ اللَّهُمَّ زَيِّنَا بِرَبِّينَا الْإِيمَانَ وَاجْعَلْنَا هُدًى مَهْدِينَ<sup>٥٨</sup>.

### ٨/٣. التثبت والتأني وعدم التسرع في إصدار الأحكام:

التثبت في التمثل بالمسائل والتأني في إصدار الأحكام أمر قرره القرآن الكريم في مواضع عدة، منها قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنِ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ (٦) (الحجرات). وقد علّم النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه التثبت في الأخبار وحذرهم من أن يظنوا ظن السوء قبل أن يتثبتوا من صحة وصدق الخبر. فعَنْ صَفِيَّةَ بِنْتِ حَيٍّ قَالَتْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُعْتَكِفًا فَأَتَيْتُهُ أَزُورُهُ لَيْلًا فَحَدَّثَنِي ثُمَّ قُمْتُ فَأَنْقَلَبْتُ فَقَامَ مَعِيَ لِيَقْلِبَنِي وَكَانَ مَسْكَنُهَا

<sup>56</sup> ابن ماجه، سنن ابن ماجه (بيروت: دار الجليل، ط ١، ١٩٩٨م)، كتاب الطلاق، باب طلاق المكره والناسي، رقم الحديث ٢٠٤٦، ج ١، ص ٦٦٠. وأحمد، المسند، رقم الحديث ٢٦٣٦٠، ج ٤٣، ص ٤٧٨.

<sup>57</sup> البخاري، صحيح البخاري مع فتح الباري، كتاب الأحكام، باب هل يقضي القاضي أو يفتي وهو غضبان، رقم الحديث: ٧١٥٨، ج ١٣، ص ١٣٦. ومسلم، صحيح مسلم، كتاب الأقضية، باب كراهة قضاء القاضي وهو غضبان، رقم الحديث ٤٥٨٧، ج ٥، ص ١٣٢.

<sup>58</sup> أحمد، المسند، رقم الحديث ١٨٣٢٥، ج ٣٠، ص ٣٦٤-٣٦٥.

فِي دَارِ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ فَمَرَّ رَجُلَانِ مِنَ الْأَنْصَارِ فَلَمَّا رَأَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَسْرَعَا. فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: عَلَى رِسْلِكُمَا إِنَّهَا صَفِيَّةُ بِنْتُ حُيَيٍّ فَقَالَا سُبْحَانَ اللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنَ الْإِنْسَانِ مَجْرَى الدَّمِ وَإِنِّي خَشِيتُ أَنْ يَقْذِفَ فِي قُلُوبِكُمَا سُوءًا أَوْ قَالَ شَيْئًا<sup>٥٩</sup>.

ومنها تثبت النبي صلى الله عليه وسلم في شأن ما وقع من حاطب بن أبي بلتعة من خطأ جسيم في مكاتبتة قريشاً وبث أسرار المسلمين إلى عدوهم قبل الحكم عليه. وكان من الحوار الذي دار بينهما والذي يرويه علي ابن أبي طالب رضي الله عنه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاطب: "يَا حَاطِبُ مَا هَذَا قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ لَا تَعْجَلْ عَلَيَّ إِنِّي كُنْتُ امْرَأً مُلْصَقًا فِي قُرَيْشٍ وَلَمْ أَكُنْ مِنْ أَنْفُسِهَا وَكَانَ مَنْ مَعَكَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ لَهُمْ قَرَابَاتٌ بِمَكَّةَ يَحْمُونَ بِهَا أَهْلِيهِمْ وَأَمْوَالَهُمْ فَأَحْبَبْتُ إِذْ فَاتَنِي ذَلِكَ مِنَ النَّسَبِ فِيهِمْ أَنْ أَتَّخِذَ عِنْدَهُمْ يَدًا يَحْمُونَ بِهَا قَرَابَتِي وَمَا فَعَلْتُ كُفْرًا وَلَا ارْتِدَادًا وَلَا رِضًا بِالْكَفْرِ بَعْدَ الْإِسْلَامِ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "لَقَدْ صَدَقَكُمُ قَالَ عُمَرُ يَا رَسُولَ اللَّهِ دَعْنِي أَضْرِبَ عُنُقَ هَذَا الْمُتَافِقِ قَالَ إِنَّهُ قَدْ شَهِدَ بَدْرًا وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَكُونَ قَدْ أَطْلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ اْعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ"<sup>٦٠</sup>. فالنبي -صلى الله عليه وسلم- لم يعجل بالحكم على حاطب حتى استدعاه، وحاوره، وسأله، وتثبت من وقوع الحدث، وعن الأسباب التي دفعته إلى ارتكاب الخطأ. ثم بعد أن تأكد -عليه الصلاة والسلام- من وقوع الخطأ وعلم سببه قبل عذر حاطب، وأحسن الظن به، وذكر أفضل مناقبه، ألا وهي سبقه في الإسلام وشهوده بدرًا.

### ٩/٣. حسن معاملة المخطئ وحفظ كرامته

وردت قصص كثيرة في سيرة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم تدل على أهمية حسن معاملة المخطئ ومن ذلك حفظ كرامته عند توجيهه وبيان خطئه حتى يكون أدعى لقبوله النصيح ولا يتمادى في خطئه وحتى لا تكون المعاملة السيئة سبباً في عناده وإهدار كرامته. من ذلك قصة الأعرابي الذي بال في

<sup>59</sup> البخاري، صحيح البخاري مع فتح الباري، كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده، رقم الحديث ٣٢٨١، ج٦، ص٣٣٦-٣٣٧. ومسلم، صحيح مسلم، كتاب السلام، باب أنه يستحب لمن رؤي خالياً بامرأة وكانت زوجة أو محرماً، رقم الحديث ٥٨٠٨، ج٧، ص٨. وأبو داود، سنن أبي داود، كتاب الصوم، باب المعتكف يدخل البيت لحاجته، رقم الحديث ٢٤٧٢، ج٢، ص٣٠٩.

<sup>60</sup> البخاري، صحيح البخاري مع فتح الباري، كتاب الجهاد والسير، باب الجاسوس، رقم الحديث ٣٠٠٧، ج٦، ص١٤٣. ومسلم، صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أهل البدر، رقم الحديث ٦٥٥٧، ج٧، ص١٦٧. وأبو داود، سنن أبي داود، كتاب الجهاد، باب حكم الجاسوس إذا كان مسلماً، رقم الحديث ٢٦٥٢، ج٣، ص١.

المسجد كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال قام أعرابي فبال في المسجد فتناولته الناس فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم "دعوه وهريقوا على بوله سجلاً من ماء أو ذنوباً من ماء فإنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين" <sup>61</sup>.

ومن ذلك معاملة النبي الحسنة للأعرابي الذي أخطأ في الصلاة كما في حديث معاوية بن الحَكَم السُّلَمي قال لما قَدِمْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- عُلِّمْتُ أُمُورًا مِنْ أُمُورِ الْإِسْلَامِ فَكَانَ فِيمَا عُلِّمْتُ أَنْ قَالَ لِي « إِذَا عَطُسْتَ فَاحْمَدِ اللَّهَ وَإِذَا عَطَسَ الْعَاطِسُ فَحَمِدِ اللَّهَ فَقُلْ يَرْحَمُكَ اللَّهُ ». قَالَ فَبَيْنَمَا أَنَا قَائِمٌ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- فِي الصَّلَاةِ إِذْ عَطَسَ رَجُلٌ فَحَمِدَ اللَّهَ فَقُلْتُ يَرْحَمُكَ اللَّهُ رَافِعًا بِهَا صَوْتِي فَرَمَانِي النَّاسُ بِأَبْصَارِهِمْ حَتَّى احْتَمَلَنِي ذَلِكَ فَقُلْتُ مَا لَكُمْ تَنْظُرُونَ إِلَيَّ بِأَعْيُنٍ شَزْرٍ قَالَ فَسَبَّحُوا فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- الصَّلَاةَ قَالَ « مِنَ الْمُتَكَلِّمِ ». قِيلَ هَذَا الْأَعْرَابِيُّ فَدَعَانِي رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- فَقَالَ لِي « إِنَّمَا الصَّلَاةُ لِقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ وَذِكْرِ اللَّهِ جَلٍّ وَعَزٍّ فَإِذَا كُنْتَ فِيهَا فَلْيَكُنْ ذَلِكَ شَأْنَكَ ». فَمَا رَأَيْتُ مُعَلِّمًا قَطُّ أَرْفَقَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- <sup>62</sup>.

ومنها معاملته الحسنة صلى الله عليه وسلم للمنافقين حفاظاً على صورة الإسلام ألا يشوبها تشويه بقوله صلى الله عليه وسلم: "لَا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّهُ كَانَ يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ" <sup>63</sup>.

ومنها حسن معاملة النبي لثمامة بن أثال مما دعا إلى إسلامه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: "بَعَثَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَيْلًا قَبْلَ نَجْدٍ فَجَاءَتْ بِرَجُلٍ مِنْ بَنِي حَنِيفَةَ يُقَالُ لَهُ ثُمَامَةُ بْنُ أَثَالٍ فَرَبَطُوهُ بِسَارِيَةٍ مِنْ سَوَارِي الْمَسْجِدِ فَخَرَجَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: مَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ فَقَالَ عِنْدِي خَيْرٌ يَا مُحَمَّدُ إِنْ تَقَتَّلَنِي تَقْتُلْ ذَا دَمٍ وَإِنْ تُنْعِمَ تُنْعِمَ عَلَيَّ شَاكِرٍ وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ الْمَالَ فَسَلْ مِنْهُ مَا شِئْتَ فَتَرَكْتُ حَتَّى كَانَ الْعَدُوُّ ثُمَّ قَالَ لَهُ مَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ قَالَ مَا قُلْتُ لَكَ إِنْ تُنْعِمَ تُنْعِمَ عَلَيَّ شَاكِرٌ فَتَرَكَهُ حَتَّى كَانَ بَعْدَ الْعَدُوِّ فَقَالَ مَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ فَقَالَ عِنْدِي مَا قُلْتُ لَكَ فَقَالَ أَطْلِقُوا ثُمَامَةَ. فَأَنْطَلَقَ إِلَى نَجْلٍ قَرِيبٍ مِنَ الْمَسْجِدِ فَاعْتَسَلَ ثُمَّ دَخَلَ الْمَسْجِدَ فَقَالَ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ يَا مُحَمَّدُ وَاللَّهِ مَا كَانَ عَلَى الْأَرْضِ وَجْهٌ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ وَجْهِكَ فَقَدْ أَصْبَحَ وَجْهَكَ أَحَبَّ الْوُجُوهِ إِلَيَّ

<sup>61</sup> البخاري، صحيح البخاري مع فتح الباري، كتاب الوضوء، باب صب الماء على البول في المسجد، رقم الحديث ٢٢٠، ج ١، ص ٣٢٣.

والنسائي، سنن النسائي (حلب: مكتب المطبوعات الإسلامية، ط ٢، ١٩٨٦م)، كتاب الطهارة، باب ترك التوقيت في الماء، رقم الحديث

٥٦، ج ١، ص ٤٨. وأحمد، المسند، رقم الحديث ٧٧٩٩، ج ١٣، ص ٢٠٩.

<sup>62</sup> أبو داود، سنن أبي داود، كتاب الصلاة، باب تسميت العاطس في الصلاة، رقم الحديث ٩٣٢، ج ١، ص ٣٥١.

<sup>63</sup> البخاري، صحيح البخاري مع فتح الباري، كتاب المناقب، باب ما ينهى من دعوة الجاهلية، رقم الحديث ٣٥١٨، ج ٦، ص ٥٤٦.

وَاللَّهُ مَا كَانَ مِنْ دِينٍ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ دِينِكَ فَأَصْبَحَ دِينُكَ أَحَبَّ الدِّينِ إِلَيَّ وَاللَّهُ مَا كَانَ مِنْ بَلَدٍ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ بَلَدِكَ فَأَصْبَحَ بَلَدُكَ أَحَبَّ الْبِلَادِ إِلَيَّ وَإِنْ خَيْلِكَ أَخَذْتَنِي وَأَنَا أُرِيدُ الْعُمْرَةَ فَمَاذَا تَرَى فَبَشَّرَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَمَرَهُ أَنْ يَعْتَمِرَ فَلَمَّا قَدِمَ مَكَّةَ قَالَ لَهُ قَائِلٌ صَبَوْتُ قَالَ لَا وَلَكِنْ أَسَلَمْتُ مَعَ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَا وَاللَّهِ لَا يَأْتِيكُمْ مِنْ الْيَمَامَةِ حَبَّةٌ حِنْطَةٍ حَتَّى يَأْذَنَ فِيهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ<sup>٦٤</sup>

ومن ذلك عفوه صلى الله عليه وسلم عن أسامة حينما قتل رجلا اجتهدا منه كما جاء في الصحيحين عن أسامة بن زيد -رضي الله عنهما- قال: بعثنا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في سرية فَصَبَّحْنَا الْحُرُوقَاتِ مِنْ جَهِينَةٍ، فَصَبَحْنَا الْقَوْمَ، فَهَزَمْنَاهُمْ، وَلَحِقْتُ أَنَا وَرَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ رَجُلًا مِنْهُمْ، فَلَمَّا غَشِيَنَاهُ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَكَفَّ عَنْهُ الْأَنْصَارِيُّ، وَطَعَنَتْهُ بِرُمْحِي؛ حَتَّى قَتَلْتَهُ، قَالَ: فَلَمَّا قَدِمْنَا بَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَقَالَ لِي: "يَا أُسَامَةُ أَقْتَلْتَهُ بَعْدَ مَا قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؟". قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّمَا كَانَ مُتَعَوِّذًا. قَالَ: فَقَالَ: "أَقْتَلْتَهُ بَعْدَ مَا قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؟" قَالَ: فَمَا زَالَ يَكْررها عَلَيَّ؛ حَتَّى تَمْنَيْتُ أَنِي لَمْ أَكُنْ أَسَلَمْتُ قَبْلَ ذَلِكَ الْيَوْمِ.

نلاحظ في هذه القصص لجوء النبي صلى الله عليه وسلم للحوار لفهم تفاصيل ما وقع من أحداث مستهجنة وفيها من الإيجابيات شعور صاحب الخطأ بفداحة خطئه. ومع ما قد يكون في كل حوار من الشدة والحزم الذي يستدعيه المقام إلا أن ذلك لم يكن مدعاة لإهدار فضل صاحب الخطأ، ولا تقليلا من مكانته وعلمه ولا إعراضا عن ما له من سابقة. ويمثل هذا الصنيع غاية العدل والإنصاف. فخطأ أسامة رضي الله عنه لم يكن سببا في فقدان مكانته من النبي صلى الله عليه وسلم بل بقي -كما هو- حبه، وابن حبه. كما لم يكن سببا في عدم اعتبار ما لديه من مواهب وقدرات فقد أمره في آخر عمره على الجيش الذي كان فيه أكابر الصحابة -رضي الله عنهم-. وخطأ معاذ في إطالة الصلاة لم يمنع النبي -صلى الله عليه وسلم- من أن يرسله إلى اليمن قاضيا وحاكما، ومفتيا كما في الصحيحين.

وليس كل مخطئ يعاقب على خطئه، بل قد يثاب أحيانا لا على خطئه وإنما على محاولته في البحث عن الصواب. وهذا يفتح باب الرجوع للمخطئ فلا يتمادى في خطئه. بل إن الخطأ غير المقصود إذا كان بسبب البحث عن الحق نال صاحبه عليه أجرا كما في قوله صلى الله عليه وسلم: (إذا اجتهد الحاكم

<sup>64</sup> البخاري، صحيح البخاري مع فتح الباري، كتاب المغازي، باب وفد بني حنيفة وحديث ثمانية بن أنال، رقم الحديث ٤٣٧٢، ج ٨، ص ٨٧. ومسلم، صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب ربط السير وحجسه وجواز المن عليه، رقم الحديث ٤٦٨٨، ج ٥، ص ١٥٨.

فأخطأ فله أجر واحد). وهو مما يعد تمييزاً للمحاولة على فعل الخير وتشجيعاً على البحث عن الحق. فهو أمان فكري للمجتهد يشجعه على الاجتهاد، ولولا ذلك لما تشجع إمام على البحث العلمي خوفاً من العقاب.

### ١٠/٣. التشجيع على إبداء الرأي

عَلَّمَ رسول الله صلى الله عليه وسلم أمته، بسنته الفعلية العملية، التشجيع على إبداء الرأي وإن كان يبدو مخالفاً، والإذن بالإعراض إذا كان بقصد الاستيضاح والفهم، وعدم التبرم بمن يسأل إذا كان سؤاله بقصد التعلم لا التعت، لأن التفاعل مع تساؤلات المخاطبين يعتبر أمراً مهماً في تحقيق الأمن الفكري. من ذلك إذنه صلى الله عليه وسلم لعائشة لأن تبدي رأيها كما في حديث ابن أبي مليكة أَنَّ عَائِشَةَ زَوْجَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَتْ لَا تَسْمَعُ شَيْئاً لَا تَعْرِفُهُ إِلَّا رَاجَعَتْ فِيهِ حَتَّى تَعْرِفَهُ وَأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ "مَنْ حُوسِبَ عُذِّبَ" قَالَتْ عَائِشَةُ فَقُلْتُ أَوْلَيْسَ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ قَالَتْ: فَقَالَ "إِنَّمَا ذَلِكَ الْعَرَضُ وَلَكِنْ مَنْ نُوقِشَ الْحِسَابَ يَهْلِكُ"<sup>٦٥</sup>.

وكما في حديث الأسود بن يزيد عن عائشة رضي الله عنها قالت "سَأَلْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الْجَدْرِ أَمِنْ الْبَيْتِ هُوَ قَالَ نَعَمْ قُلْتُ فَمَا لَهُمْ لَمْ يُدْخِلُوهُ فِي الْبَيْتِ؟ قَالَ: إِنْ قَوْمُكَ قَصَرَتْ بِهِمُ النَّفَقَةُ قُلْتُ: فَمَا شَأْنُ بَابِهِ مُرْتَفِعًا قَالَ: فَعَلَّ ذَلِكَ قَوْمُكَ لِيُدْخِلُوا مَنْ شَاءُوا وَيَمْنَعُوا مَنْ شَاءُوا وَلَوْ أَنَّ قَوْمَكَ حَدِيثٌ عَهْدُهُمْ بِالْجَاهِلِيَّةِ فَأَخَافُ أَنْ تُنْكِرَ قُلُوبُهُمْ أَنْ أُدْخِلَ الْجَدْرَ فِي الْبَيْتِ وَأَنْ أُلْصِقَ بَابَهُ بِالْأَرْضِ"<sup>٦٦</sup>.

ومن ذلك إذن النبي صلى الله عليه وسلم لحفصة أن تبدي رأيها كما في حديث أم مبشر عن حفصة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إني لأرجو أن لا يدخل النار أحد إن شاء الله من شهد بدرا والحديبية) قلت: يا رسول الله أليس قد قال الله: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا﴾ (٧١) (مريم)؟ قال: أولم تسمعيه يقول ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ (٧٢)؟<sup>٦٧</sup>. وعن ابن عمر أن حفصة أخبرته: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر أزواجه أن يجللن عام حجة الوداع قالت حفصة: (فما يمنعك يا رسول الله أن تحل؟ قال: إني قلدت هديي ولبدت رأسي فلست

<sup>65</sup> البخاري، صحيح البخاري مع فتح الباري، كتاب العلم، باب من سمع شيئاً فراجع حتى يعرفه، رقم الحديث ١٠٣، ج ١، ص ١٩٦-

١٩٧.

<sup>66</sup> البخاري، صحيح البخاري مع فتح الباري، كتاب الحج، باب فضل مكة وبنائها، رقم الحديث ١٥٨٤، ج ٣، ص ٤٣٩.

<sup>67</sup> الطبراني، سليمان بن أحمد، المعجم الكبير (الموصل: مكتبة العلوم والحكم، ط ٢، ١٩٨٣م)، ذكر أزواج الرسول صلى الله عليه وسلم منهن، حفصة بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنه من أخبارها، رقم الحديث ٣٥٨، ج ٢٣، ص ٢٠٦.

أحل حتى أنحر الهدى<sup>٦٨</sup>. ومنها إذن النبي صلى الله عليه وسلم للصحابه أن يراجعوه فيما لم يتضح لهم معناه فعن عبد الله رضي الله عنه قال لما نزلت: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ قلنا: يا رسول الله، أينا لا يظلم نفسه؟ قال: ليس كما تقولون، لم يلبسوا إيمانهم بظلم: بشرك، أولم تسمعوا إلى قول لقمان لابنه ﴿يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾<sup>٦٩</sup>. ومنها إذن النبي صلى الله عليه وسلم لعمر رضي الله عنه أن يعبر عن رأيه وإن كان مخالفاً لرأيه ورأي أبي بكر كما في أسرى بدر في حديث ابن عباس رضي الله عنهما: "فلما أسروا الأسارى قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لأبي بكر وعمر: "ما ترون في هؤلاء الأسارى؟ فقال أبو بكر يا نبي الله هم بنو العم والعشيرة أرى أن تأخذ منهم فدية فتكون لنا قوة على الكفار فعسى الله أن يهديهم للإسلام. فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: ما ترى يا ابن الخطاب؟ قلت لا والله يا رسول الله ما أرى الذي رأى أبو بكر ولكني أرى أن ثمكتنا فنضرب أعناقهم فتمكن علينا من عقيل فيضرب عنقه وثمكتني من فلان - نسيابا لعمر - فأضرب عنقه فإن هؤلاء أئمة الكفر وصناديدها فهوى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ما قال أبو بكر ولم يهو ما قلت فلما كان من الغد جئت فإذا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وأبو بكر قاعدان ينيكان قلت يا رسول الله أخبرني من أي شيء تبكي أنت وصاحبك فإن وجدت بكاء بكيت وإن لم أجد بكاءً تبكيت لبيكائكما. فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: أبكي للذي عرض على أصحابك من أخذهم الفداء لقد عرض على عذابهم أذى من هذه الشجرة. شجرة قريية من نبي الله -صلى الله عليه وسلم- وأنزل الله عز وجل ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ﴾ إلى قوله ﴿فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا﴾ فأحل الله الغنيمة لهم<sup>٧٠</sup>.

ومنها إبداء عمر رأيه في مسألة اعتزال النبي نساءه فوافق رأيه ما نزل به القرآن: ففي الحديث الطويل الذي يرويه عمر رضي الله عنه: "ودخلت عليه حين دخلت وأنا أرى في وجهه الغضب فقلت يا رسول الله ما يشق عليك من شأن النساء فإن كنت طلقتهن فإن الله معك وملائكته وجبريل وميكائيل وأنا وأبو

<sup>68</sup> الطبراني، المعجم الكبير، ذكر أزواج الرسول صلى الله عليه وسلم منهن، حفصة بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنه من أخبارها، رقم الحديث: ٣١٦، ج ٢٣، ص ١٩١.

<sup>69</sup> البخاري، صحيح البخاري مع فتح الباري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قوله تعالى: (واتخذ الله إبراهيم خليلاً)، رقم الحديث ٣٣٦٠، ج ٦، ٣٨٩. ومسلم، صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب صدق إيمان وإخلاصه، رقم الحديث ٣٤٢، ج ١، ص ٨٠. والترمذي، سنن الترمذي (بيروت: دار الجليل، ط ٢٠١٩م)، كتاب تفسير القرآن، باب سورة الأنعام، رقم الحديث ٣٠٦٧، ج ٥، ص ١٥٢. وأحمد، المستند، رقم الحديث ٤٠٣١، ج ٧، ص ١٢٩.

<sup>70</sup> مسلم، صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر وإباحة الغنائم، رقم الحديث ٤٦٨٧، ج ٥، ص ١٥٦.

بَكَرَ وَالْمُؤْمِنُونَ مَعَكَ وَقَلِّمًا تَكَلَّمْتُ وَأَحْمَدُ اللَّهِ بِكَلَامٍ إِلَّا رَحَوْتُ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ يُصَدِّقُ قَوْلِي الَّذِي أَقُولُ وَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ آيَةُ التَّخْيِيرِ ﴿عَسَىٰ رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ﴾ ﴿وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾<sup>٧١</sup>.

### ١١/٣. حق المراجعة

في كتاب ربنا تعالى وسنة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم أدلة تقرر أهمية الإذن بالمراجعة في شؤون الثقافة من المتلقي للآمر. وتمثل المراجعة لمانح الثقافة صمام أمان للمجتمع. كما يعد وجود من يراجع أصحاب السلطة الثقافية، وقبول أصحابها بهذا المبدأ أيضا أمرا مهما هو الآخر. ويدخل في ذلك دخولاً أولاً كل من له علاقة بالسلطة الثقافية يستوي في ذلك القادة والمعلمون والآباء والإعلام في زماننا هذا.

من تلك الأدلة مراجعة النبي الله فيما فرض عليه من الصلوات: في حديث الإسراء والمعراج الطويل عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ وفيه قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- «فَفَرَضَ اللَّهُ عَلَىٰ أُمَّتِي خَمْسِينَ صَلَاةً - قَالَ - فَرَجَعْتُ بِذَلِكَ حَتَّىٰ أَمَرَ بِمُوسَىٰ فَقَالَ مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَاذَا فَرَضَ رَبُّكَ عَلَىٰ أُمَّتِكَ - قَالَ - قُلْتُ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسِينَ صَلَاةً. قَالَ لِي مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَرَاغِعْ رَبَّكَ فَإِنَّ أُمَّتَكَ لَا تُطِيقُ ذَلِكَ - قَالَ - فَرَاغِعْتُ رَبِّي فَوَضَعَ شَطْرَهَا - قَالَ - فَرَجَعْتُ إِلَىٰ مُوسَىٰ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - فَأَخْبَرْتُهُ قَالَ رَاغِعْ رَبَّكَ فَإِنَّ أُمَّتَكَ لَا تُطِيقُ ذَلِكَ - قَالَ - فَرَاغِعْتُ رَبِّي فَقَالَ هِيَ خَمْسٌ وَهِيَ خَمْسُونَ لَا يُبَدِّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ - قَالَ - فَرَجَعْتُ إِلَىٰ مُوسَىٰ فَقَالَ رَاغِعْ رَبَّكَ. فَقُلْتُ قَدْ اسْتَحْيَيْتُ مِنْ رَبِّي - قَالَ - ثُمَّ انْطَلَقَ بِي جِبْرِيلُ حَتَّىٰ نَأْتَىٰ سِدْرَةَ الْمُنْتَهَىٰ فَعَشِيهَا أَلْوَانٌ لَا أَدْرِي مَا هِيَ - قَالَ - ثُمَّ أَدْخَلْتُ الْجَنَّةَ فَإِذَا فِيهَا جَنَابُذُ اللَّوْلُؤِ وَإِذَا تُرَابُهَا الْمِسْكُ»<sup>٧٢</sup>.

ومنها مراجعة النبي جبريل فيما أنزل من أحرف القرآن كما في حديث أَبِي بِنِ كَعْبٍ أَنَّ النَّبِيَّ -صلى الله عليه وسلم- كَانَ عِنْدَ أَصَاةِ بَنِي غِفَارٍ - قَالَ - فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَقْرَأَ أُمَّتَكَ الْقُرْآنَ عَلَىٰ حَرْفٍ. فَقَالَ «أَسْأَلُ اللَّهَ مُعَافَاتَهُ وَمَغْفِرَتَهُ وَإِنَّ أُمَّتِي لَا تُطِيقُ ذَلِكَ». ثُمَّ أَتَاهُ الثَّانِيَةَ فَقَالَ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَقْرَأَ أُمَّتَكَ الْقُرْآنَ عَلَىٰ حَرْفَيْنِ فَقَالَ «أَسْأَلُ اللَّهَ مُعَافَاتَهُ وَمَغْفِرَتَهُ وَإِنَّ أُمَّتِي لَا تُطِيقُ ذَلِكَ». ثُمَّ جَاءَهُ الثَّالِثَةَ فَقَالَ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَقْرَأَ أُمَّتَكَ الْقُرْآنَ عَلَىٰ ثَلَاثَةِ أَحْرَفٍ. فَقَالَ «أَسْأَلُ

71. مسلم، صحيح مسلم، كتاب الطلاق، باب في الإيلاء واعتزال النساء وتخييرهن، رقم الحديث ٣٧٦٤، ج ٤، ص ١٨٨.

72. مسلم، صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله إلى السماء وفرض الصلوات، رقم الحديث ٤٣٣، ج ١، ص ١٠٢.



اللَّهُ مُعَافَاتُهُ وَمَغْفِرَتُهُ وَإِنْ أُمِّتِي لَا تُطَبِّقُ ذَلِكَ». ثُمَّ جَاءَهُ الرَّابِعَةُ فَقَالَ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَقْرَأَ أُمَّتَكَ الْقُرْآنَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرَفٍ فَأَيُّمَا حَرْفٍ قَرَأُوا عَلَيْهِ فَقَدْ أَصَابُوا.<sup>٧٣</sup>

**ومنها** مراجعة عمر لرأي أبي بكر رضي الله عنهما في قتال مانعي الزكاة كما في حديث أبي هريرة قَالَ لَمَّا تُوفِّي رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- وَاسْتُخْلِفَ أَبُو بَكْرٍ بَعْدَهُ وَكَفَرَ مَنْ كَفَرَ مِنَ الْعَرَبِ قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ لِأَبِي بَكْرٍ كَيْفَ تُقَاتِلُ النَّاسَ وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- «أُمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَمَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَقَدْ عَصَمَ مِنِّي مَالُهُ وَنَفْسُهُ إِلَّا بِحَقِّهِ وَحِسَابُهُ عَلَى اللَّهِ؟» فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ وَاللَّهِ لَأُقَاتِلَنَّ مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ فَإِنَّ الزَّكَاةَ حَقُّ الْمَالِ وَاللَّهُ لَوْ مَنَعُونِي عَقَالًا كَانُوا يُؤَدُّونَهُ إِلَيَّ رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- لَفَاتَلْتُهُمْ عَلَى مَنَعِهِ. فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ فَوَاللَّهِ مَا هُوَ إِلَّا أَنْ رَأَيْتُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ شَرَحَ صَدْرَ أَبِي بَكْرٍ لِلْقِتَالِ فَعَرَفْتُ أَنَّهُ الْحَقُّ.<sup>٧٤</sup>

**ومنها** مراجعة زيد بن ثابت الشيخين حين كلفاه بجمع القرآن حيث قال رضي الله عنه: "فَوَاللَّهِ لَوْ كَلَّفُونِي نَقْلَ جَبَلٍ مِنَ الْجِبَالِ مَا كَانَ أَثْقَلَ عَلَيَّ مِنْ ذَلِكَ قَالَ قُلْتُ كَيْفَ تَفْعَلُونَ شَيْئًا لَمْ يَفْعَلْهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ هُوَ وَاللَّهُ خَيْرٌ فَلَمْ يَزَلْ يُرَاجِعُنِي فِي ذَلِكَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ حَتَّى شَرَحَ اللَّهُ صَدْرِي لِلَّذِي شَرَحَ لَهُ صَدْرُهُمَا صَدْرَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرُ"<sup>٧٥</sup>.

ويسري ذلك على قضايا الثقافة الاجتماعية، وشؤون الدنيا العامة من باب أولى.

**مثال الأولى:** ما أخرجه ابن ماجه والنسائي واللفظ له عن عائشة رضي الله عنها أن فتاة دخلت عليها فقالت: "إن أبي زوجني من ابن أخيه يرفع بي خسيسته"<sup>٧٦</sup> وأنا كارهة، قالت: اجلسي حتى يأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم. فلما جاء رسول الله فأخبرته فأرسل إلى أبيها فدعاه فجعل الأمر إليها فقالت: يا رسول الله قد أجزت ما صنع أبي ولكن أردت أن أعلم النساء أن ليس للآباء من الأمر شيء". ومراجعة بريرة النبي صلى الله عليه وسلم عندما نصحتها بالرجوع لزوجها الذي كان يحبها وكانت تبغضه هل هو أمر منه أم مجرد شفاعاة. عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ زَوْجَ بَرِيرَةَ كَانَ عَبْدًا يُقَالُ لَهُ مُعَيْثٌ كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِ يَطُوفُ

<sup>73</sup> مسلم، صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين، باب بيان أن القرآن على سبعة احرف وبيان معناه، رقم الحديث ١٩٤٣، ج ٢، ص ٢٠٣.

<sup>74</sup> مسلم، صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، رقم الحديث ١٣٣، ج ١، ص ٣٨.

<sup>75</sup> الترمذي، سنن الترمذي، كتاب تفسير القرآن، باب سورة التوبة، رقم الحديث ٣١٠٣، ج ٥، ص ١٨٠. وقال هذا حديث حسن صحيح.

<sup>76</sup> قولها: "يرفع بي خسيسته" قال الأزهرى: "يقال رفع الله خسيسته فلان إذا رفع حاله بعد انخطاطها".



خَلَفَهَا يَنْكِي وَدُمُوعُهُ تَسِيلُ عَلَى لِحْيَتِهِ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لِعَبَّاسٍ يَا عَبَّاسُ أَلَا تَعْجَبُ مِنْ حُبِّ مُغِيثِ بَرِيرَةَ وَمِنْ بُغْضِ بَرِيرَةَ مُغِيثًا فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَوْ رَاجَعْتَهُ قَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ تَأْمُرُنِي قَالَ إِنَّمَا أَنَا أَشْفَعُ قَالَتْ لَا حَاجَةَ لِي فِيهِ<sup>٧٧</sup>

**ومثال الثانية:** مراجعة الصحابة رضي الله عنهم النبي صلى الله عليه وسلم في تأييد النخيل كما في حديث أنسٍ أَنَّ النَّبِيَّ -صلى الله عليه وسلم- مَرَّ بِقَوْمٍ يُلَقِّحُونَ فَقَالَ: لَوْ لَمْ تَفْعَلُوا لَصَلَحَ. قَالَ فَخَرَجَ شَيْصًا فَمَرَّ بِهِمْ فَقَالَ مَا لِنَخْلِكُمْ؟. قَالُوا قُلْتَ كَذَا وَكَذَا قَالَ أَنْتُمْ أَعْلَمُ بِأَمْرِ دُنْيَاكُمْ». <sup>٧٨</sup>

### خلاصة البحث

حاول هذا البحث تحليل المفاهيم العامة للأمن الفكري، من حيث مقوماته الأساسية وموضوعات تعلقه، وتلخيص أسس الأمن الفكري في السنة النبوية، حيث تم بيان دور تطبيق المنهج النبوي في حماية الأمة من الغزو الفكري ومن الجنوح إلى التطرف معاً في سبيل تحقيق السلام الاجتماعي والنفسي للمجتمع والوطن. وبناء على العرض والتحليل يمكن استخلاص جملة من الحقائق، لعل أهمها ما يأتي:

**أولاً:** إن موضوع الأمن الفكري موضوع شائك يتعلق بعوامل متعددة: منها عوامل فكرية ودينية ومنها عوامل ثقافية وحضارية. ولهذا فإن دراسة الموضوع بصورة جزئية لن يحقق الغاية، وإنما لابد من تناوله بصورة كلية شاملة تبين عناصره الأولية ومقوماته الأساسية، وفي سبيل ذلك نحن في حاجة إلى تعاضد مجالات علمية مختلفة، يأتي في مقدمتها علوم الشريعة الغراء ثم العلوم الإنسانية مثل علم النفس وعلم الاجتماع وغيرها. ولمعالجة موضوع الأمن الفكري بصورة صحيحة لأبد من تأصيله، أي العودة به إلى الأصول التي قامت عليها الحضارة الإسلامية الأولى وشكلت تصوراً للكون ورؤيتها الكلية للحياة والإنسان. ولتحقيق ذلك هنالك ضرورتان:

- ١- ضرورة تحقيق المعرفة الصحيحة للإسلام، كنظام فكري واعتقادي واجتماعي متكامل، ونظام أخلاقي شامل وباعث على السعادة في الدارين، ومرشدنا في ذلك هو المنهج النبوي في بناء المجتمع.
- ٢- ضرورة معرفة ظروف العصر ومتطلباته، والتفريق بين ما هو ناشئ عن التطور العلمي والصناعي وبين ظواهر الانحراف وأسباب الفساد والانحطاط الفكري.

<sup>77</sup> البخاري، صحيح البخاري مع فتح الباري، كتاب الطلاق، باب في شفاعة النبي لزوج بريرة، رقم الحديث ٥٢٨٣، ج ٩، ص ٤٠٨.

<sup>78</sup> مسلم، صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب وجوب الامتثال ما قاله شرعاً دون ما ذكره من معاش الدنيا، رقم الحديث ٦٢٧٧، ج ٧، ص ٩٥.

**ثانياً:** لا يمكن تحقيق الأمن الفكري بصورة كاملة إلا بإيجاد وسيلة لتوافق الأفكار وانسجامها مع الواقع مع الأصول المقررة بديننا الحنيف، وذلك هو أساس الأمن الاجتماعي. فلا سبيل لإعادة بناء إنسان الاستخلاف والهداية والعمران إلا بإصلاح الجانب الفكري في الأمة ومناهج التربية فيها وتنقية ثقافتها مما علق بها من شوائب<sup>79</sup>.

**ثالثاً:** لا يتحقق الأمن الفكري في بعده الحضاري إلا عندما يكون المسلم مدركاً لمهمته العالمية، أي مكانته الرفيعة وسط الأمم بأنه حامل للرسالة الكونية الخاتمة، وأن العزة والرحمة والتسامح والتوازن هي أهم خصائص دينه الحكيم.

**رابعاً:** إن كثيراً من التوترات والاضطرابات في المجتمع الواحد سببها الأساس هو اضطراب في الفكر وعدم تناسق بين منظومة القيم الفكرية التي يحملها الفرد وطرائق العمل السائدة في المجتمع. ولذلك لا بدّ من تحقيق معرفة الذات بإشاعة مبدأ التسامح والتفاهم والحوار مع الفكر المخالف إذا كان سائغاً بين أبناء الأمة الإسلامية. وخلاصة الأمر، كما لاحظته أحد الباحثين، هو أنه "لن يحل السلام وينجح الإصلاح في ديار الإسلام إلا إذا استقر مبدأ عدم مشروعية استخدام العنف في ضمير المجتمع المسلم وصفوته المتعارضة، وأن يكون هذا المبدأ واضحاً جلياً لجمهور المسلمين وعامتهم لكي تحل الوسائل السلمية الشورية موضع العنف والاقتتال في حل النزاعات السياسية داخل رحم الأمة"<sup>80</sup>.

**خامساً:** يجب اتباع المنهج النبوي في بناء المجتمع وتنشئة الإنسان الصالح لأن هذا المنهج النبوي يضع أسس الأمن الفكري ويساعد على بناء وتقوية دعائم الأمن الفكري وذلك من خلال تقوية وازع الدين في النفس وإذكاء جذوة الإيمان في القلب، وترسيخ منهج الوسطية والاعتدال، وبناء إطار واسع من حرية الرأي والتفكير مع تحرير العقل من الشبهات.

<sup>79</sup> عبد الحميد أبو سليمان، العنف وإدار الصراع السياسي في الفكر الإسلامي بين الخيار المبدأ، مصدر سابق، ص ١٠)

<sup>80</sup> المصدر نفسه، ص ٧٧.

### المراجع العربية

- \* - أبو الوليد الباجي، **إحكام الفصول في أحكام الأصول**: تحقيق عبد المجيد التركي (بيروت - دار الغرب الإسلامي)
- \* - البخاري، صحيح البخاري مع فتح الباري، تحقيق عبد العزيز بن عبد الله بن باز، ومحب الدين الخطيب (بيروت: دار الفكر، د.ت).
- \* - أبو دود، **سنن أبي داود** (بيروت: دار الكتاب العربي، د.ت).
- \* - أبو سليمان، عبد الحميد، **العنف وإدارة الصراع السياسي في الفكر الإسلامي بين الخيار المبدأ، طبعة المعهد العلمي للفكر الإسلامي ودار السلام (القاهرة - ٢٠٠٢)**.
- \* - أحمد، المسند، تحقيق شعيب الأرنؤوط (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط ٢، ١٩٩٩م).
- \* - الأصفهاني، الراغب، **المفردات في غريب القرآن**، دار المعرفة (بيروت - ٢٠٠١).
- \* - إقبال، العلامة محمد إقبال **"تجديد الفكر الديني في الإسلام"** مطبعة لجنة التأليف والترجمة (القاهرة - ١٩٦٨)
- \* - الجليند، محمد السيد، **الأصولية والحوار مع الآخر**، دار قباء للطباعة (القاهرة - ١٩٩٩).
- \* - ابن خلدون، العلامة عبد الرحمن، **المقدمة**، دار الكتب العلمية (بيروت - بدون تاريخ).
- \* - ابن ماجه، سنن ابن ماجه (بيروت: دار الجيل، ط ١، ١٩٩٨م).
- \* - بادي، جمال، **وسائل ترشيد الفهم الصحيح لفقه التدين**. ورقة مقدمة لمؤتمر فقه التدين (الواقع والتطلعات) جامعة اليرموك الأردن ٢٠٠٨/٥/٣٠م.

- \* - برغوث، عبد العزيز، ظاهرة العولمة ومساراتها بين المقاربة الأيديولوجية والمقاربة الحضارية: مجلة إسلامية المعرفة السنة الثانية عشر العدد ٤٦-٤٧ خريف ٢٠٠٦م شتاء ٢٠٠٧م.
- \* - الترمذي، سنن الترمذي، تحقيق بشار عواد معروف (بيروت: دار الجيل، ط٢، ١٩٩٨م).
- \* - الزامل، عبد الله، الوازع الديني، مقالة منشورة في جريدة الرياض، الاحد ٢٠ جمادى الآخرة ١٤٢٧هـ - ١٦ يوليو ٢٠٠٦م - العدد ١٣٩٠١.
- \* - سمير أمين وبرهان غليون، حوار الدولة والدين، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء (مغرب- ١٩٩٦)، ط١.
- \* - الشاطبي، أبو إسحاق، الموافقات في أصول الشريعة، (دار الكتب العلمية- بيروت ٢٠٠٤)
- \* - صافي، لؤي، أعمال العقل من النظرة التجزيئية إلى الرؤية الكلية، دار الفكر (دمشق- ١٩٩٨).
- \* - العبادي، صادق، الفكر الطائفي واثره في انقسام الأمة، مقالة في ندوة مستجدات الفكر الإسلامي المعاصر الرابعة، ٩-١١ يناير ١٩٩٥م.
- \* - عبد العال، حسن إبراهيم، التربية الإبداعية ضرورة وجود، عمان، دار الفكر، ٢٠٠٤م.
- \* - عبد الله، معتز سيد، التعصب دراسة نفسية اجتماعية (القاهرة: دار الغريب للطباعة والنشر، ط٢، ١٩٩٧م).
- \* - عمارة، محمد، الحوار بين الإسلاميين والعلمانيين، نخضة مصر للطباعة والنشر (القاهرة- ٢٠٠٠).
- \* - الطبراني، سليمان بن أحمد، المعجم الكبير (الموصل: مكتبة العلوم والحكم، ط٢، ١٩٨٣م).
- \* - ابن قيم الجوزية، هداية الحيارى في اجوبة اليهود والنصارى (المدينة: مطبعة الجامعة الإسلامية، ط١).
- \* - فكار، رشدي، لمحات عن منهجية الحوار والتحدي الإعجازي للإسلام، مكتبة وهبة (القاهرة- ١٩٨٢)
- \* - فتاح، عرفان عبد الحميد، الإطار الفكري العام لنظرية المعرفة في القرآن الكريم (مجلة إسلامية المعرفة)، يصدرها المعهد العالمي للفكر الإسلامي، العدد ١٥، شتاء ١٩٩٩م.
- \* - مسلم، صحيح مسلم (بيروت: دار الجيل، دت).
- \* - المودودي، أبو الأعلى، نحن والحضارة الغربية، الدار السعودية للنشر (جدة- ١٩٨٧)

- \* - النجار، عبد المجيد، دور حرية الرأي في تحقيق الوحدة الفكرية بين المسلمين، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط ١، ١٩٩٢م.
- \* - النسائي، سنن النسائي (حلب: مكتب المطبوعات الإسلامية، ط ٢، ١٩٨٦م).
- \* - هاينال، اندريه، ومكلوس مولنار، وجيرار دي بوميغ، سيكولوجية التعصب، ترجمة د. خليل أحمد خليل (لندن: دار الساقى، ط ١، ١٩٩٩م).

#### مواقع الشبكة الدولية:

- \* - د. يوسف القرضاوي: اخلاقيات التحرر من التعصب: مجلة بلاغ.
- <http://www.balagh.com/youth/7l0sz116.htm>

#### **English References:**

- \*- Al-Maududi, S. Abul A`la, **Unity of the Muslim World**, Islamic Publications (Lahore- Pakistan 1998).
- \*-Siddiqui, Abdul Hameed, **Prophethood in Islam**, Islamic Publications (Lahore- Pakistan 1968).
- Mahathir Mohamad, **Globalization and the New Realities: Selected Speeches** (Prime Minister's office (Malaysia- 2002)
- \*- Musleh-uddin, M., **the Islamic Law and Social Change**, Islamic Publications (Lahore- Pakistan 1982).